الطريق إلى حسن الخلق

تأليف

أم أنس سمية بنت محمد الأنصاري

راجعه وقدم له فضيلة الشيخ

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ١١٨٦٠

رقم الإيداع : I.S.B.N.: 977 - 5932 - 47 - 5

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٣٨٣٠٣٥٦٠

المنصـورة : شارع جمـال الدين الأفغـاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

وبعد :

فهذه رسالة لطيفة في بعض أبواب ((**حسن الخلق**)) جمعتها أختنا في الله أم أنس – حفظها الله ونفع بها – ، وقد راجعت أحاديثها فألفيتها في الجملة موفقة وإن كان في بعض أحاديثها ضعف لكن لكونها في فضائل الأعمال من ناحية ومن ناحية أخرى لكونها اعتمدت تصحيحات أهل العلم فقد تركتها وشأنها فيها ، فالله أسأل أن يبارك فيها وينفع بها وبرسالتها وأن يوفقها لمواصلة طلب العلم .

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وسلم

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى العدوي



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

أما بعد

.بمشيئة الله ﷻ هذه رسالة متواضعة ومختصرة في موضوع من أهم المواضيع التي غفل عنها كثير من الناس «حسن الخلق» أسميتها « **الطريق إلى حسن الخلق** » .

والغرض من هذه الرسالة هو أن نقف عند محاسن الأخلاق ، ونتعلم ما هو السلوك الصحيح الذي يجب أن يسلكه كل مسلم ومسلمة ؛ ليكون صاحب خلق حسن . وهذا كما جاء واضحاً في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف ﷺ ..

كتبته

سمية محمد الأنصاري

مطوبس في ٦من شهر صفر ١٤٢٣هـ

الطريق إلى حسن الخلق

وقبل أن نبدأ هذه الرسالة نريد أن نوضح بعض التنبيهات الهامة التي يجب أن ينتبه لها كل مسلم ومسلمة :

لنحذر جميعاً أن يكون علمنا مجرد معرفة بالأشياء خال من الإخلاص والمتابعة ، أو لنجاري به العلماء ، أو نماري به السفهاء فنعوذ بالله من ذلك كما تعوذ رسولنا ﷺ فقال : -

((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعْ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعْ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَع ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا**))[1].

فنعوذ بالله من أن يكون علمنا لتحقيق شهوة دنيوية عاجلة فيكون سبباً لإحباط العمل بل يكون وبالاً ونقمة وعذاباً في الآخرة والعياذ بالله كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [هود : ١٥ - ١٦]

فالأعمال جميعها يجب أن تكون خالصة لوجه الله ﷻ ليثاب عليها الإنسان كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾

[الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣]

---

(١) مسلم (٢٧٢٢) .

أما إذا فقد العمل الإخلاص فقد حبط وبطل ولا يثاب الإنسان عليه يوم القيامة ، لأنه عمله للدنيا فنال جزاءه في الدنيا .

ولهذا قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص : ٨٤]

والعمل غير خالص **قال الله تعالى فيه : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾** [الفرقان : ٢٣]

إذاً الرغبة والإقدام على العلم يجب أن يصاحبها الإخلاص لله ﷻ والعزيمة علي العمل والمتابعة لرسوله ﷺ .

فما أجمل الدعوة إلي الله ﷻ بالسلوك العملي في كل صغيرة وكبيرة وهكذا كانت دعوة صحابة رسول الله ﷺ رضى الله عنهم ، كانت سلوكا عملياً . كانت دعوة بالعمل فكان الصحابي بقوله وفعله وسلوكه دعوة عملية ناجحة ، فهذه كانت دعوة أفضل الأجيال جيل الصحابة ﷺ .

ولهذا كانت سبباً في دخول الناس في دين الله أفواجاً .

فأنت بسلوكك وبكلامك وبتصرفاتك وبحسن خلقك مع الآخرين دعوة عملية ناجحة فاحرص دائماً علي أن يكون عملك مطابقاً لعلمك وقد أخبرنا الله ﷻ في قوله : **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ ﴾** [فصلت : ٣٣]

فالآية الكريمة فيها الحث على الدعوة إلى **الله** ﷻ بالقول الحسن ، ويتبع ذلك التطبيق العملي وهو العمل الصالح .

ثم يجب أن ينسب نفسه إلى المسلمين ، لأن الإسلام هو الأصل الذي يوالى ويعادي عليه ، لا يتعصب لجماعة أو طائفة أو حزب ، وليكن انتسابه وولاؤه للإسلام قولا وفعلا **قال الله تعالى** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت : ٣٠]

فالقول يجب أن يكون بعده الاستقامة علي أمر **الله** ﷻ فالحذر كل الحذر من الادعاءات والهتافات والشعارات بغير تطبيق عملي .

حقاً نجد كثيراً من الناس ، بل للأسف بعض الدعاة ، يفتقدون التطبيق العملي لما يقولون ، نجد فيهم حدة وغلظة وجفاء وعسر خلق ، فكيف يكون موقف الناس من أمثال هؤلاء ؟؟!، لا شك أنهم سيزهدون فيما عندهم من علم ، وسوف يكرهون ما هم عليه بل سيقولون نحن أفضل منهم ثم ينصرفون عنهم ، كل هذا ؛ لأنهم طلبوا العلم فعلموا ولكن لم يعملوا ، فأصبح علمهم حجة عليهم ولقد حذرنا **الله** ﷻ **في قوله** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾
[الصف : ٢ - ٣]

ليس هذا فقط للأسف الشديد بل قد نجد بعض الذين يعتبرهم الناس من الدعاة إلى الله ، لا يحسنون التعامل فيما بينهم فنجد بينهم الخـــلافات ، والبغضاء ، والكراهية ، والحسد ، نجدهم يسخر بعضهم من بعض ويغتاب بعضهم بعضاً ، بل يتربص كل منهم للآخر الوقوع في الزلات والأخطاء عملاً أو قولاً بل قد يسيء بعضهم ببعض الظن فلا يتقبلون نصائح بعضهم لبعض لأن كلاً منهم يرى أنه الناصح الوحيد ، فإنهم حقاً لم يتدبروا قول الله

عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ - ٣]

فالإنسان ليس داعياً دائما ، ولكنه أحياناً داع وأحياناً مدعو وهذا الذي لا يقبل دعوة غيره ، ولا نصيحة من غيرة ينطبق علية **قول الله تعالى** : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة : ٢٠٦]

كثير من الناصحين لا تكون نصيحتهم إلا بالجفاء و الاستعلاء و الكبر فأين هؤلاء من **قوله تعالى** : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

ولهذا نجد المجتمع الإسلامي الآن سادت فيه الفرقة والخلافات كل ذلك بسبب البعد العملي عن دين **الله** عز وجل ، كثير من الناس يعلمون ولا يعملون - فأين نحن من جيل الصحابة رضي الله عنهم ؟! فقد سادت بينهم المودة والألفة والمحبة بسبب اعتصامهم بدين الله وبمنهج **الله** عز وجل ولذلك مكن الله لهم في الأرض في بضع سنين وتحقق وعد **الله** عز وجل الذي جاء في **قوله تعالى** : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥]

فهل سيمكن الله ﷻ لهذا الأمة وقد سادت فيها الخلافات ، والبغضاء ، والحسد ؟ وهل ستنجح الدعوة إلي دين الله ﷻ ؟ لا شك أنها ستكون صورة منفرة لن تجدي بشيء فكفانا تنافس على الدنيا لأن هذه الخلافات وهذه العداوات ليس سببها إلا التنافس على الدنيا من « حب الزعامة !! حب الرئاسة !! حب السمعة !! حب الظهور !! » فلنغير من سلوكنا ولنبدأ .

ولنجعل تنافسنا في الخير ولنتسابق إلى جنة عرضها السماوات والأرض امتثالاً **لقوله تعالى** : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۞ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين : ٢٢ - ٢٦]

وقوله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٣]

وكان رسول الله ﷺ يخشى علي أمته التنافس علي الدنيا فقال : « **إِنِّي فَرَطُكم**[١] **عَلَى الحَوْضِ وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الجُحْفَة إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** »[٢].

اللهم علمنا ما جهلنا واجعله حجة لنا لا حجة علينا .

---

(١) فرطكم : سابقكم السابق والمتقدم .

(٢) مسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر .

الأخــلاق

معنى الأخلاق : السجية والطبع ...

وهي كيفية تعامل العبد مع الله والناس .

حسن الخلق مع الله

الاستسلام لله ﷻ والصبر والرضا بحكمه تعالى شرعاً وقدراً وعدم التضجر من حكمه الشرعي أو القدري .

حسن الخلق مع الناس

كف الأذى باللسان ، وبالجوارح ، وطلاقة الوجه ، وكظم الغيظ ، والصبر على أذى الناس ، والتواضع ، والصدق ، والأمانة ، وغير ذلك .

وقد أمر النبي ﷺ بمعاملة الناس بخلق حسن فقال : ((**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**))[1] .

حسن الخلق أثقل ما يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة

فقد وضح رسولنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، والذي أوتي جوامع الكلم ، أن أثقل ما يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلــق حسن فقال : ((**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**))[2].

---

(١) **حسن** : أخرجه الترمذي (٤/ ١٩٨٧) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧) عن أبي ذر .

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذى (٤ / ٢٠٠٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٢) عن أبي الدرداء ﷺ .

وقد مدح الله ﷻ رسوله ﷺ **فقال تعالى** : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤]

وقال أنس ﷺ كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً [١].

وإذا أردنا أن نعرف خلق النبي ﷺ فقد أجابت عائشة – رضى الله عنها – عن هذا السؤال فقالت : كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنُ[٢].

إن الدعوة إلي مكارم الأخلاق كانت من أهم أهداف بعثة رسول الله ﷺ فقال ﷺ : ((**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ**))[٣].

وبداية لابـــد أن نعلم أن أي عمل يتقرب به العبد إلى **الله** ﷻ لابد من الاستعانة **بالله** ﷻ للتوفيق للقيام بهذا العمل ، فالإنسان بحوله وقوته لن يستطيع أن يفعل شيئاً ، ولن يوفق لشيء فكل شيء بحول الله وقوته وبتوفيقه وقد أخبرنا **الله** ﷻ بذلك في قوله : ﴿ .. **مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً** ﴾ [الكهف : ١٧]

وقال الله ﷻ : ﴿ .. **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [هود : ٨٨]

ولكن لننتبه لمن يكون التوفيق ، ولمن تكون الهداية ؟

لمن يستحقها ولمن أرادها وعمل لها ، فالإنسان عليه البداية في طريق الاستقامة ، والاستعانة بالله ﷻ فيجد التوفيق والهداية من الله وجاء هذا

---

(١) **البخاري** (٦٢٠٣) ، **مسلم** (٢١٥٠) .

(٢) **صحيح** : رواه أحمد (٢٤٠٨٠) ، (٢٤٧٧٤) ، (٢٥٢٨٥) .

(٣) **حسن** : رواه أحمد في المسند (٨٧٢٩) ، **البخاري** في الأدب المفرد (٢٧٣) .

واضحاً في **قوله تعالى** : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ [الليل : ٥ - ١٠]

وأيضا **قال الله** ﷻ : ﴿ .. **اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ** ﴾ [الشورى : ١٣]

إذاً يتضح من الآيات أن العبد عليه البداية والسير في طريق الهداية ، فيكون التوفيق من **الله** ﷻ فهذا هو منهج الرسل الكرام ، فها هو قول **الله** ﷻ عن موسى عليه السلام : ﴿ .. **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** ﴾ [طه : ٨٤]

وجاء هذا أيضا موضحاً في الحديث القدسي : قال ﷺ : ((**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتَهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**))[1].

ولهذا إذا أردنا أن نحسن أخلاقنا ، علينا بداية الاستعانة **بالله** ﷻ ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فهو أفضل الخلق ، وهو يستعين **بالله** ﷻ لتحسين خُلقه فيقول : ((**اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي**))[2]

وكان يقول ﷺ ((**وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**))[3]

---

(١) **مسلم** (٢٥٧٧) عن أبي ذر ﷺ .

(٢) **صحيح** : رواة أحمد (٢٣٨٧١) ، (٢٤٦٩٥) عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) **مسلم** (٧٧١) عن علي بن أبي طالب ﷺ .

فعلينا الاستعانة **بالله** ﷻ ودعاءه والتذلل إليه تعالى ؛ ليوفقنا إلى أحسن الأخلاق .

فضائل حسن الخلق

حسن الخلق يُزيد الإيمـــان ودلالة علي كماله . كما جاء في قوله ﷺ : ((**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً وَخِيَارُكُم خِيَارُكُم لِنِسَائِهِمْ**))[1]

فالحديث فيه دلالة على أن الإيمان يزيد وينقص وأن الناس يختلفون في درجة إيمانهم منهم من هو قوى في إيمانه أو وسط أو ضعيف الإيمان ، كما **قال الله** ﷻ : ﴿ .. **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً** .. ﴾ [المدثر : ٣١]

فحديث رسول الله ﷺ يدل على أن أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقاً ، وأيضا في الحديث دلالة على أن خير الناس خيرهم لأهله فالأقربون أولى بالمعروف وأولى بالمعاملة الحسنة ، فنجد شخصاً ما سيئ الخلق مع أهله حسن الخلق مع غيرهم ، فهذا خطأ عظيم ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث قال : ((**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**))[2] .

ولهذا لما سُئلت عائشة – رضى الله عنها – ماذا كان رسول الله يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج[3].

---

(١) **حسن** : أخرجه الترمذى (٣ / ١١٦٢) ، أحمد (٧٣٥٤ ، ٩٧٥٦ ، ١٠٤٣٦) ، الدارمى (٢٧٩٢) .

(٢) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٨٩٥) ، ابن ماجة (١٩٧٧) ، وصححه الألباني .

(٣) **البخاري** (٥٣٦٣) .

وهكذا نرى التطبيق العملي لحسن الخلق حيث كان ﷺ يحلب الشاة لأهله ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، فكل هذا كان سبباً في جلب المودة والمحبة .

حسن الخلق يقرب العبد من رسول الله ﷺ

فقال ﷺ : ((**إنَّ منْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبكُمْ منِّى مَجْلساً يَوْمَ القيَامَة أَحَاسنَكُمْ أَخْلاَقاً وَإنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ منِّى مَجْلساً يَوْمَ القيَامَة الثَّرْثَارُونَ**[١] **وَالْمُتَشَدِّقُونَ**[٢] **وَالْمُتَفيْهقُونَ**)) قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون ؟ قال : ((**الْمُتَكَبِّرُونَ**))[٣] .

فوضح رسول الله ﷺ أن أقرب الناس منه درجة يوم القيـــامة أحسنهم أخلاقاً ، و لم يقل أكثرهم صلاة أو زكاة أو غير ذلك .

وفيه دلالة على أن الإنسان عليه أن يتكلم بما يفهم القوم فقد قال الله ﷻ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا منْ رَسُول إلاَّ بلسَان قَوْمه ليُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ** ﴾ [إبراهيم : ٤]

حسن الخلق يجعل صاحبه ينال درجة الصائم القائم

فقال ﷺ ((**إنَّ الْمُؤْمنَ لَيُدْركُ بحُسْن خُلُقه دَرَجَةَ الصَّائم القَائم**))[٤].

---

(١) الثرثارون : الذين يتكلمون كثيراً .

(٢) المتشدقون : من تكلم بملىء شدقيه تفاصحاً وتعظيما واستعلاء .

(٣) **صحيح** : الترمذى (٢٠١٨/٤) وصححه الألباني في صحيح الترمذى (١٦٤٢) .

(٤) **صحيح** : أبو داود (٤٧٩٨) ، أحمد (٢٣٨٣٤ ، ٢٤٠٧٤) عن عائشة رضى الله عنها (وصححه الألباني) .

البرُ حسن الخلق

عن النواس بن سمعان ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم فقال : ((**البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**))[1]

ففي الحديث دلالة على أن حسن الخلق يجلب الخير الكثير لأن البر هو الخير الكثير ، وأما سوء الخلق فيجلب لصاحبه الذم والبُغض والشر وفيه تعريف الاثم : فهو ما لم تطمئن إليه النفس وتكره أن يطلع عليه الغير .

حفظ اللسان وقلة الكلام أعظم وسيلة لحسن الخلق

إن الكلام لا يُتعب الإنسان ولهذا من السهل جداً أن يطلق الإنسان لسانه ومن السهل جداً أن يزين الشيطان لأولياءه كثرة الكلام والوقوع في أعراض الناس والوقوع في الغيبة والنميمة وغيرها ، ولأن الشيطان توعد لآدم وذريته كما أخبرنا الله ﷻ **في قوله** : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الحجر : ٣٩]

ومن المعلوم أن كيد الشيطان ضعيف ، ولهذا لا يتمكن من كل بني آدم علي الإطلاق ولكنه يتمكن من غير المخلصين ، ولذا لما توعد إبليس لذرية آدم قال كما أخبرنا الله ﷻ : ﴿ **إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ .

---

(١) مسلم (٢٥٥٣) .

فعلى الإنسان أن يحذر كيد الشيطان ، ويبذل قصارى جهده ليكون من عباد الله المخلصين ، وعلى الإنسان أن يعلم أن كثرة الكلام توقعه في الخطأ لأن كل كلمة ينطق بها محاسب عليها وتُكتب عليه كما أخبرنا الله ﷻ :

﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق : ١٨]

ولذا يحذرنا رسول الله ﷺ من شهوة الكلام كما جاء في هذا الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : ((**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**)) ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : ((**الفَمُ وَالْفَرْجُ**))[1]

ولهذا قال ﷺ : ((**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**))[2] .

ما بين لحييه : أي لسانه ، وما بين رجليه : أي فرجه .. ولهذا فإن الإنسان إذا أصبح فإن كل الجوارح ((اليدين ، الرجلين ، العينين ..)) تكفر اللسان .

فإن اللسان قد يقول الكلمة لا يُلقي لها بالاً يهوى بها في النار ... ولننظر بعين الاعتبار والتفقه في هذا الحوار العظيم الذي دار بين معاذ بن جبل ﷺ والرسول ﷺ فسوف نجد فيه مواعظ كثيرة :

عن معاذ بن جبل ﷺ قال : كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت

(١) **حسن** : الترمذي (٤ / ٢٠٠٤) ، ابن ماجة (٤٢٤٦) ، أحمد (٧٨٤٧ ، ٨٨٥٢ ، ٩٤٠٣) وصححه الألباني

(٢) **البخاري** (٦٤٧٤) عن سهل بن سعد .

يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله : اخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويباعدني عن النار ؟ قال : ((**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْه : تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيمُ الصَّلاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُ البَيْتَ**)) ؛ ثم قال : ((**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّة**[١] **والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**)) قال : ثم تلا ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ...** ﴾ حتى بلغ ﴿ **يَعْمَلُونَ** ﴾ ثم قال : ((**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّه وَعَمُودِه وَذِرْوَةِ سَنَامِه**[٢] ؟)) قلت : بلى يا رسول الله ، قال : ((**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِه الجِهَادُ**)) ، ثم قال : ((**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّه ؟**)) قلت : بلى يا نبي الله . قال : ((**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**)) ، فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ((**ثَكِلَتْكَ أُمُكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**))[٣]

ففي الحديث دلالة على خطر إطلاق اللسان ، وضرورة التحكم فيه فإذا أردت أن تتكلم فكر أولاً هل سيكون خيراً أم شراً ؟ إن كان خيراً فتكلم ،

---

(١) جُنة : حماية و وقاية من المعاصي .

(٢) ذروة سنامه : أعلاه وأرقى جزء فيه .

(٣) **صحيح بطرقه** : رواة الترمذي (٢٦١٦) و الحاكم في المستدرك وقال صحيح علي شرط الشيخين (٢ / ٤١٢ - ٤١٣) ، أحمد (٥ / ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥) وابن حبان (٢١٤) .

وإن كان شراً فأمسك واستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم إن كان لغوا أي من الكلام الذي ليس فيه فائدة فأمسك عنه أيضاً ولا تخض فيه ؛ لأن الخوض في لغو الكلام كثيرا ما يُوقع صاحبه في الخطأ : فمثلاً إذا أردت أن تقص على صاحبك موقف معين ولن يُجدي في النهاية بشيء فقد تزيد في هذا الموقف أو تنقص فيه ، وبالتالي تقع في الكذب ولهذا إن تركت لغو الكلام فأنت من عباد الرحمن الذين وصفهم الله ﷻ في سورة الفرقان وذكر من صفاتهم : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً** ﴾

أيضا جعل **الله** ﷻ ترك اللغو من الكلام من صفات عباده المؤمنين كما جاء في **قوله تعالى** : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١ - ٣]

والرسول ﷺ ينصح أبا ذر رضي الله عنه بالصمت فيقول : ((**يَا أَبَا ذَرٍ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَفْضَلِ العِبَادَةِ وَأَخَفِّهَا عَلَى البَدَنِ وَأَثْقَلُهَا فِي المِيزَانِ وَأَهْوَنُهَا عَلَى اللِّسَانِ** ؟)) قلت بلى فداك أبي وأمي ، قال : ((**عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ وَحُسْنِ الخُلُقِ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِعَامِلٍ يَا أَبَا ذَرٍ بِمِثْلِهِمَا**))[١].

إذن طول الصمت وحسن الخلق صفتان لا نظير لهما في الكمال والأدب المعاصر بل والتقدم الاجتماعي ، وكثرة الكلام (الثرثرة) علامة على سوء الخلق لأنها تؤدى إلى الوقوع في أعراض الناس وإلى الكذب وغيرها من

---

(١) **حسن** : رواة أبو يعلي في المسند (جـ ٣٢٩٨/٦) والبزار (٣٥٧٣) انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٩٣٨) .

الصفات الذميمة ولهذا كما وضحنا في حديث سابق عدها رسول الله ﷺ من أسباب البعد عنه يوم القيامة فقال : ((**وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ والْمُتَفَيْهِقُونَ**)) فحذاري من كثرة الكلام ، ودائما فكر قبل أن تنطق ، وتذكر حديث الرسول ﷺ : ((**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيراً أَو لِيَصْمُتْ**))[1].

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ : كان ينهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال[2].

آفات اللسان

من آفات اللسان وضرر إطلاق اللسان الوقوع في أعراض الناس وذمهم وذكرهم بما يكرهون .

وذكرنا سابقاً أنه من السهل إطلاق اللسان ولكن من الصعب على الإنسان أن يكف لسانه ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : ((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**))[3].

أي أن المسلم حقاً هو الذي يسلم المسلمون من لسانه ، فلا يسبهم ولا يغتابهم ولا ينم بينهم ، وإذا سمع أحد يخوض في عرض أخيه دافع عنه . وكذلك المسلم حقاً من سلم المسلمون من يده ، فلا يضرب ولا يعتدي ولا

---

(١) **البخاري** (٦٤٧٥) ، **مسلم** (٤٧) عن أبي هريرة .
(٢) **البخاري** (٧٢٩٢) .
(٣) **البخاري** (١ / ١٠) ، م (٤٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

يأخذ ما ليس من حقه . فإن كنت تريد الإسلام حقاً فأحرص على أن يسلم المسلمون من لسانك و يدك .

واعلم أن الرسول ﷺ قد أكد على تحريم الخوض في أعراض الناس في يوم عظيم وهو يوم النحر في حجة الوداع حيث قال : ﷺ : ((**إنَّ الزَّمَانَ قَد اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَات وَالأَرْض : السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً منْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ (ذُو القَعْدَة وَذُو الحِجَّة وَالْمُحَرَّمُ) وَرَجَبُ شَهْرُ الَّذي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ**)) ثم قال : ((**أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟**)) قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : فسكت حتى ظننا أنه سيُسميه بغير اسمه ، قال : ((**أَلَيْسَ ذَا الحِجَّة ؟**)) قلنا : بلى قال : ((**فَأَيُّ بَلَد هَذَا ؟**)) قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيُسميه بغير اسمه ، قال : ((**أَلَيْسَ البَلْدَةَ**)) قلنا : بلى ، قال : ((**فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟**)) قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيُسميه بغير اسمه ، قال : ((**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟**)) قلنا بلى ، قال : ((**فَإِنَّ دمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَام عَلَيْكُمْ كَحُرْمَة يَوْمكُمْ هَذَا في بَلَدكُمْ هَذَا في شَهْركُمْ هَذَا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالكُمْ ، فَلاَ تَرْجعُنَّ بَعْدي كُفَّاراً يَضْربُ بَعْضُكُمْ رقَابَ بَعْضٍ ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغَائبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلِّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ منْ بَعْضِ مَنْ سَمعَهُ** ،)) ثم قال : ((**أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟**)) قلنا نعم ، قال : ((**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**))[1]

---

(١) **البخاري** (٨ / ٤٦٦٢) ، **مسلم** (١٦٧٩) واللفظ له . أي لمسلم .

والمعنى المجمل للحديث أن الزمان قــد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وأن عدة الشهور اثنا عشر شهراً منذ خلق الله السموات والأرض والأشهر لم تتغير و لم تتبدل ، ولكن الذي غير فيه وبدل هم أهل الجاهلية ، حيث كانوا يحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ولكن في هذا العام الذي حج فيه رسول الله ﷺ صادف أن النسيء [وهو ما كان يفعله أهل الجاهلية من تحريم الشهر الحلال وتحليل الشهر الحرام] جاء موافقا لما شرعه **الله** ﷻ في الأشهر الحرم . فبين الرسول ﷺ الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال وكانوا في الجاهلية يحلون المحرم ويحرمون صفر . ويؤكد الرسول ﷺ تحريم الأموال والدماء والأعراض ((والأعراض تشمل : السب – الغيبة – الشتم – الزنا – القذف ...)) ويقرر النبي ﷺ أنه بلغ شرع **الله** ﷻ في أعظم المواطن في يوم عرفة حيث يجتمع عدد كبير من الناس فكان يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس يقول : اللهم أشهد عليهم أنني بلغتهم وأقر الصحابة بذلك ﷺ ويأمر أصحابه ﷺ أن يبلغ بعضهم بعضاً ، الشاهد يبلغ الغائب وهذه الوصية من الرسول ﷺ لمن حضر في ذلك اليوم ووصية لمن سمع حديثه إلى يوم القيامة و علينا إذا سمعنا حديثاً عن رسول الله ﷺ أن نبلغه إلى الأمة كما فعل الصحابة ﷺ فبلغوا كل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام ، ما كتموا من سنته شيئاً ، وبلغوا ما جاء به من الوحي و لم يكتموا منه شيئاً فجاءت الشريعة – ولله الحمد – كاملة من كل وجه .

الغيبة و البهتان

من أخطر الأشياء التي توقع الإنسان في غضب **الله** ﷻ الغيبة والبهتان وهما آفتان من آفات اللسان ، وضرر إطلاقه وعدم التحكم فيه مهلكة من المهالك . ويحذر **الله** ﷻ من الغيبة في **قوله تعالى** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٢]

ففي الآية نهيٌ عن الغيبة وزجر شديد عنها حيث يوضح **الله** ﷻ أنه كما تكرهون أكل لحم الإنسان الميت فأكرهوا الغيبة فإن عقوبتها أشد وهذا في غاية من التحذير و التنفير من هذا الأمر الشنيع .

وقد فسر النبي ﷺ الغيبة في هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**أَتدْرُونَ مَا الغِيبَةُ ؟**)) قالـــوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ((**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**)) ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : ((**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**))[1].

مثال على الغيبة

ما ذكرته عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا (أشارت أنها قصيرة) فقال ﷺ : ((**لَقَـــدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ**

---

(١) **مسلم** (٢٥٨٩) .

مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ »[١].

مثال على البهتان

حادثة الإفك حيث أن بعض المنافقين اتهموا عائشة – رضى الله عنها – في عرضها فبرأها الله ﷻ من فوق سبع سموات .

ولقد جاء تحذير شديد ووعيد من الله ﷻ لمن يخوض في أعراض المسلمين ووضح الله ﷻ لعباده أنه ينبغي على العبد المؤمن إذا سمع من يخوض في أعراض المسلمين ويغتابهم أو يبهتهم أن لا يخوض معهم بل يجب عليه أن ينكر و يدافع عن عرض أخيه .

فقال الله ﷻ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۞ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥ – ١٦]

ولهذا يقول رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلماً فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلاَّ خَذَلَهُ اللهُ تَعالى فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ ، وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلماً فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلاَّ نَصَرَهُ اللهُ ﷻ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ »[٢].

---

(١) **صحيح** : أبو داود (٤٨٧٥) .
(٢) **صحيح** : أبو داود (٤٨٨٤) .

وعكس الإنكار والدفاع عن أعراض المؤمنين الخوض والمشاركة والفرح والإذاعة .. أي يسمع المسلم غيره ينتهك عرض أخيه فيتكلم معه ويشاركه وينقل هذا الكلام ويجد السعادة واللذة في الخوض فيه ومثل هؤلاء يُحذرهم الله ﷻ العذاب الأليم **فيقول تعالى:** ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النـور : ١٩]

ويستثنى من ذلك ما فيه مصلحة للمسلمين كما في الجرح والتعديل .

كقوله ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر : ((**ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ**))[١].

وكذلك في حالة النصيحة كما قال ﷺ لفاطمة بنت قيس رضى الله عنها لما خطبها معاوية وأبو الجهم فقال : ((**أَمَّا أَبُو جَهْم فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتقه وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ ولاَ مَالَ لَهُ**))[٢].

أي إنها تسأل النبي ﷺ وتستشيره في أمر زواجها هل تتزوج هذا أم هذا ؟ فينصحها النبي ﷺ بما يعلم من أحوالهما فيقول لها : أما معاوية فصعلوك أو ليس له مال وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه أي : كثير الضرب .

وأيضا يستثنى من ذلك التحاكم إلى ولاة الأمر وحل الخلافات بين المسلمين .

---

(١) **البخاري** (٦١٣١) ، **مسلم** (٢٥٩١)
(٢) **مسلم** (١٤٨٠)

أما عن عذاب من يخوض في أعراض الناس : فقــد قال رسول الله ﷺ : ((**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرَائِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**))[1].

النميمة

أيضا النميمة من آفات اللسان وضرر إطلاقه وعدم التحكم فيه . والنميمة هي التحريش بين الناس وإيقاع أسباب العداوة بينهم ونقل الحديث لإفساد ذات البين ، وقد حذر **الله** ﷻ من أمثال هؤلاء **فقال تعالى** : ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**[2] ﴾ [القلم : ١٠ - ١١]

أي لا تطع كثير الحلف **بالله** ﷻ كذباً بسبب ضعفه ومهانته ومن صفاته الذميمة أنه هماز : أي كثير الاغتياب للناس ، إما باللسان ، وإما بالحركات .

وقد وضَّح الرسول ﷺ عقاب النمام في أحاديث كثيرة منها : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال : ((**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**))[3].

---

(١) **صحيح** : أحمد (٣ / ٢٢٤) ، أبو داود (٤٨٧٨)

(٢) مشاء بنميم : أي : يمشي بين الناس بالنميمة .

(٣) البخاري (٢١٦) ، مسلم (٢٩٢)

وقال ﷺ : ((**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**))[1] . أي : نمام

ولنعلم أن التحريش بين الناس وإيقاع العداوة بينهم من صفات إبليس وأولياءه لعنهم الله كما أخبرنا الله ﷻ **في قوله** : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ** ﴾ [المائدة : ٩١]

فالشيطان حريص على إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين ، وله وسائل مختلفة لتحقيق ذلك والتي منها الغيبة والنميمة والخمر والميسر وغيرها .

وعكس النميمة الإصلاح بين الناس ، وقد حث الله ﷻ على ضرورة الإصلاح بين المسلمين في آيات كثيرة منها **قوله تعالى** : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [سورة الحجرات : ١٠]

وقوله تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ [الأنفال : ١]

وجعل الرسول ﷺ الإصلاح بين الناس صدقة كما جاء في هذا الحديث :
عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**كُلُّ سُلامى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ**)) قال : ((**تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَيُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**)) قال :

---

(١) البخاري (٦٠٥٦) ، مسلم (١٠٥) عن حذيفة ﷺ .

((**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**))[1].

أي : في كل يوم تطلع فيه الشمس يكون على كل مفصل من مفاصل الإنسان صدقة وذكر أن الإنسان به ثلاثمائة وستون مفصلاً فعلى الإنسان أن يتصدق بعدد هذه المفاصل كل يوم ، ولكن الصدقة لا تختص بالمال فقط ، ولكن كل ما يقرب إلى الله ﷻ فهو صدقة وكما جاء في رواية أخـــرى : ((**بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ**))[2] ففي الحديث وضح رسول الله ﷺ أنه إذا حكمت بين اثنين بالعدل يكون ذلك صدقة ، ومعنى الحكم بالعدل أي : بشرع الله ﷻ .

ولأهمية الإصلاح بين الناس أباح الله ﷻ الكذب للإصلاح بين الناس فقال ﷺ : ((**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْراً أَوْ يَقُولُ خَيْراً**))[3]. و قال بعض العلماء : ((ولكن الأفضل أن لا يكذب الإنسان كذباً صريحاً ، ولكن يستخدم أسلوب التورية وهو أن يظهر للمخاطب غير الواقع حتى لا يقع في الكذب الصريح)) .

---

(١) **البخاري** (٦ / ٢٩٨٩) ، **مسلم** (١٠٠٩)

(٢) **مسلم** : (١٠٠٦) .

(٣) **البخاري** (٥ / ٢٦٩٢) ، **مسلم** (٢٦٠٥) وفي زيادة لمسلم قال ابن شهاب : ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث (الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها)

التنابذ بالألقاب و عدم صون اللسان عن السب و الشتم

أيضا كل هذا من ضرر إطلاق اللسان وعدم التحكم فيه .

ونهانا الله ﷻ عن التنابذ بالألقاب في **قوله تعالى** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾.
[الحجرات : ١١]

والتنابذ بالألقاب هو : أن يدعو شخص أخاه المؤمن باسم يكرهه ولا يحبه ولكن قد يلقب شخص ما باسم يميزه عن غيره فإن لم يكن يتأذى من ذلك الاسم فلا بأس ، حيث أن إطلاق هذا اللقب عليه يكون من باب التمييز والتعريف به ، والدليل على ذلك ما جاء في **قوله تعالى** : ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى** ﴾ [عبس : ١ - ٢]

وكذلك كان صحابي في عهد رسول الله ﷺ يُسمى بذي اليدين لطول يديه .

والتنابذ بالألقاب جعله **الله** ﷻ من الفسوق أي صاحبه يكون خارجاً عن طاعة **الله** ﷻ كما أخبرنا **الله** ﷻ **في قوله** : ﴿ **بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ** ﴾ أي : أن المتنابذ بالألقاب يكون فاسقاً بعد أن كان مؤمناً فبئس الاسم ولهذا قال الله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾
[الحجرات : ١١]

أي : من لم يتب ويترك اللمز والتنابذ بالألقاب ؛ فإنه من جملة الظالمين حيث إنه ظلم نفسه وجعلها تستحق العذاب من الله ﷻ وظلم غيره لأنه ألحق به الأذى والضرر ، وقد قال ﷺ : ((**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**))[1].

والمسلم يجب عليه أن لا يقابل السب بسب مثله لأنه من عصى الله ﷻ فينا لا نعصى الله ﷻ فيه ، فلا نقابل المعصية بمعصية ، ولكن على المسلم الإعراض والعفو والصفح كما أخبرنا الله ﷻ عن صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً** ﴾ [الفرقان : ٦٣]

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٩٩]

فكل من جهل علينا يجب أن لا نجهل عليه ولكن إما أن نقول كلاماً سالماً وإما أن يكون الإعراض وعدم الالتفات ، وعن عبد الله بن أبى مُليكه وعن عائشة رضى الله عنها ، أن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : السام[2] عليكم ، فقالت عائشة : عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم قال : ((**مَهْلاً يَا عَائشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ**)) قالت أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : ((**أَوَ لَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجابُ لِي فِيهِمْ وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**))[3].

---

(١) **البخاري** (٤٨) ، **مسلم** (٦٤) عن عبد الله بن مسعود .

(٢) السام : الموت

(٣) **البخاري** (٦٠٣٠/١٠) ، **مسلم** (٢١٦٥) .

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال : ((**بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ**)) فلما جلس تَطَلَّقَ النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ، فقال رسول الله ﷺ : ((**يَا عَائِشَةُ مَتى عَهِدْتِني فَاحِشاً ؟ إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقاءَ شَرِّهِ**))[1].

أي أنه حذر منه أولاً الجالسين ليتقوا شره ثم انبسط إليه ولم يعبس في وجهه اتقاء شره أي قبيح كلامه . فسبحان الله لو تأسينا برسولنا ﷺ واخترنا الأفضل لنا العفو والإعراض عن الجاهلين . فكم كظيم للغيظ وعفو عن الناس رفع الله به الدرجات .

((اللهم اجعلنا من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس اللهم آمين))

ولنعلم أن الله ﷻ قد نهى عن سب المشركين حتى لا يدفعهم ذلك إلى سب الله ﷻ **فقال تعالى : ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ منْ دُون اللَّه فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [الأنعام : ١٠٨]

وأيضاً لا يسب الرجل أبا الرجل فقال ﷺ : ((**مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**)) قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : ((**نَعَمْ يَسُبُّ**

---

(١) البخاري (١٠/ ٦٠٣٢)

الرَّجُلُ أَبا الرَّجُل فَيَسُبُّ أَباه وَيَسُبُّ أُمَّهُ))[١].

فلنترك بذاءة اللسان ولنستبدلها بالكلمة الطيبة فالكلمة الطيبة صدقة لنسعد في الدنيا والآخرة وقد قال ﷺ : ((**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**))[٢]

وحتى إن كانت هناك كلمة تحتمل السب والشتم وتحتمل غير ذلك فيجب تركها واستبدالها بكلمة أخرى لا تحتمل المعنى البذيء ، وهذا كما أخبرنا **الله** ﻷ **في قوله** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة : ١٠٤]

فكان المسلمون يقولون للنبي ﷺ راعنا أي راع أحوالنا أو راعي مصالحنا أو انتظرنا ، فالمسلمون كانوا يقصدون بها معنى صحيح ، ولكن في العبرية راعى معناها شرير ، راعينو معناها شريُرنا فاليهود يعلمون هذا المعنى الثاني القبيح الفاسد ، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول ﷺ بهذه الكلمة وهم يقصدون بها المعنى الفاسد ، **والله** ﻷ يعلم السر وأخفى ، يعلم قصدهم وما في ضمائرهم ، ولهذا نهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب وأمرهم أن يقولوا كلمة أخرى وهي : انظرنا ، فهي كلمة يراد بها المقصود من غير تشويش ، ففي الآية الكريمة دلالة علي ترك ما هو جائز إن كان وسيلة إلى محرم ، وفيه الأدب وترك الألفاظ التي تحمل الفحش والقباحة فلنحذر كل ذلك وليكن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فكما أخبرتنا عائشة

---

(١) **البخاري** (١٠ / ٥٩٧٣) ، **مسلم** (٩٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص .
(٢) **البخاري** (٦ / ٢٩٨٩) ، **مسلم** (١٠٠٩) عن أبي هريرة .

– رضى الله عنها – عندما سُئلت عن خُلقه ﷺ فقالت : لم يكن فَحَّاشاً ، ولا مُتَفَحِّشاً ، ولا صَخَّاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح[١].

ولنعلم أن الله ﷻ يكره الفاحش البذيء فقال ﷺ : ((**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُــؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُــقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَء**))[٢].

التحلي بالصدق وعدم الكذب

الكذب وعدم الصدق من آفات اللسان أيضا ، ومن ضرر إطلاقه وعدم التحكم فيه .

واعلم أن **الله** ﷻ قد أمرنا بالصدق ورغبنا فيه في مواضع كثيرة في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **فقال تعالى** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩]

والصدق من دأب وخلق الرسول ﷺ ولذلك لم يستطع المشركون بداية أن يتهموه بالكذب ؛ لأنهم كانوا يعرفونه جيداً بأفضل الأخلاق ، ولهذا لما فقدوا صوابهم وأعيتهم السبل والحيل صرخوا كذاب ، كذاب ، كما أخبرنا **الله** ﷻ **في قوله تعالى** : ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ**

---

(١) الترمذى (٢٠١٦) .

(٢) **حسن** : الترمذى (٤/٢٠٠٢) و صححه الألباني (١٦٢٨) عن أبي الدرداء ﷺ .

هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص : ٤]

ولكن كانوا متيقنين في أنفسهم من صدقه ﷺ ومن أمانته وعدله ولكن تعنتاً منهم وحيرة منهم اتهموه بالكذب وكما أخبرنا الله ﷻ عن دأب المكذبين **فقال تعالى** : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل : ١٤]

والدليل على ذلك ما جاء في الحوار الذي دار بين هرقل ملك الروم وأبي سفيان قبل أن يدخل في الإسلام ، حيث سأله هرقل عن عدة أشياء ليعرف بها صدق النبي ﷺ ومنها أنه قال له : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت ((أبو سفيان)) : لا ، قال : فهل يَغْدُرُ ؟ قلت : لا ، وقال له أيضا : فماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال : هرقل للترجمان قل له : سألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد اعرِفُ أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله[1].

فهكذا كانت شهادة أبو سفيان ﷺ للرسول ﷺ بالصدق مع أنه لم يكن قد دخل في الإسلام بعد .

---

(١) جزء من حديث هرقل مع أبو سفيان **البخاري** (١/ ٧) ، **مسلم** (١٧٧٣)

والصدق هو مطابقة الواقع ويشمل : -

صدق في الأقوال : وهو مطابقة القول للحقيقة الواقعية وهو بين العباد .

صدق في الأفعال : وهو مطابقة الظاهر للباطن وهو بين العبد وربه .

والصدق في الأقوال فضيلة وعاقبته الخير دائما بل هو علامة على الشجاعة والشهامة وكرم الأخلاق ، ولا يلجأ إلى الكذب إلا خبيث النفس ضعيف الشخصية . والفطرة السليمة تستعيب الكذب وتستقبحه .

فهذا هو أبو سفيان قبل إسلامه وكان مشركاً في جاهليته في الحوار الذي دار بينه وبين هرقل ملك النصارى لم يرض لنفسه الكذب ؛ خشية أن يمسك عليه أحد كذبة ، فكان هرقل يريد أن يتيقن من مطابقة أوصاف الرسول ﷺ لما جاء في التوراة والإنجيل فكان أبو سفيان يقول : والله لو لا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه(١).

والصدق يظهر أثره علي وجه صاحبه وكذلك الكذب فإن الصدق يسري من القلب إلى اللسان إلى الجوارح ، فالصادق كل من نظر إلى طلعته يجد في وجهه إشراقا وصفاء و يقرأ في وجهه الصدق كما كان ذلك يحدث لمن رأى الرسول ﷺ الصادق الأمين فكان يعرف بمجرد النظر إليه أن وجهه ليس بوجه كاذب وكذلك حال الصادقين ، فها هو عبد الله بن سلام ﷺ قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه وقيل : قدم رسول الله

(١) جزء من حديث هرقل مع أبو سفيان **البخاري** (١/ ٧) ، **مسلم** (١٧٧٣) .

ﷺ ، قدم رسول الله ﷺ فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب وكان أول شيء تكلم به أن قال : ((**أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**))[1].

الكذب من صفات المنافقين

كما جاء في قوله ﷺ : ((**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**))[2].

فمن يكذب في حديثه يكون به خصلة من خصال النفاق والنفاق المقصود في الحديث هو النفاق العملي وهو غير مخرج من الملة بخلاف النفاق الاعتقادى وهو إظهار الإيمان و إبطان الكفر وهـذا النوع من النفاق مخرج من الملـة ولكن يُخشى على الذي به صفة من صفات النفاق العملي أن يؤدى ذلك إلى النفاق الاعتقادي أعاذنا الله وإياكم منه .

الصدق يهدي إلى الجنة والكذب يهدي إلى النار

الصدق يهدي دائما إلى كل أنواع الخير وفي النهاية إلى الجنة والكذب يهدي إلى الشر والخروج عن طاعة الله وفعل الأثام والمعاصي والتمادي فيها ومن ثم في النهاية يهدي إلى النار . فلننظر إلى حديث الرسول ﷺ : ((**إِنَّ**

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٢٤٨٥) ، ابن ماجة (٣٢٥١/١٣٤٣) ، الدارمي (١٤٦٠) .
(٢) **البخاري** (١ / ٣٣) ، **مسلم** (٥٩) عن أبي هريرة .

الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ العَبْدَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً »[1].

فعلى الإنسان أن يتحرى الصدق دائماً حتى يكتب عند الله صديقاً وهي مرتبة عظيمة ودرجة رفيعة عالية أخبرنا الله ﷻ عنها في قوله : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾ [النساء : ٦٩]

بعكس الكذاب كثير الكذب الذي يتحرى الكذب فيهديه كذبه إلى الفجور ويكتب عند الله كذاباً وتكون نهايته جهنم أعاذنا الله وإياكم منها .

وأشد الناس كذباً من يتخذ الأيمان الكاذبة ليبرئ نفسه أمام الناس ويخشى الناس ولا يخشى الله ﷻ كما قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [المجادلة : ١٦]

وهؤلاء من المغضوب عليهم كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [المجادلة : ١٤-١٥] وقال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦٢]

---

(١) **البخاري** (٦٠٩٤/١٠) ، **مسلم** (٢٦٠٧) عن ابن مسعود .

ومن يحلف **بالله** ﷻ وهو كاذب فهذا هو اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ، ثم تغمسه في النار أعاذنا الله وإياكم من النار .

احذروا الكذب في الضحك

ولنحذر الكذب في الحديث لنضحك الناس وقد حذرنا ﷺ من ذلك فقال : ((**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**))[1].

وقال ﷺ : ((**أَنَا زَعِيمٌ[2] بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ[3] الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقاً وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**))[4].

إياكم والتوسع في التورية !!

بداية فإن التورية هي أن يتحدث الإنسان بكلام ظاهره غير حقيقته مثل أن يسأل شخص شخصاً آخر فيقول له : هل رأيت علياً اليوم ؟ فيقول : نعم رأيته ، وهو لم يره ولكن في نيته أنه رأى شخصاً آخر و هكذا ...

فلنعلم أن استخدام التورية والكذب غير جائز إلا في ثلاث حالات أخبرنا بها الرسول ﷺ في قوله : ((**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ**

---

(١) **حسن** : الترمذي (٢٣١٥) ، أبو داود (٤٩٩٠) .

(٢) زعيم : ضامن .

(٣) ربض : ما حول الجنة وفي أطرافها.

(٤) **صحيح** : أبو داود (٤٨٠٠) .

فَيَنْمِي خَيْراً أَوْ يَقُولُ خَيْراً))[1].

وفي رواية لمسلم زيادة من طريق الزهري : و لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : الحرب ، الإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها ، والتورية كذب لأنها خلاف الواقع ، وإن كان المتكلم قد نوى به معنى صحيحاً ، ودليل ذلك أن إبراهيم عليه السلام يعتذر عن الشفاعة يوم القيامة لأنه كذب ثلاث كذبات في ذات الله والمعروف أنه ورّى و لم يكذب . فيجوز استخدام التورية في هذه المواضع الثلاث فقط مع عدم التوسع في الحرب - الإصلاح بين الناس - بين الرجل وزوجته ، ونقول : مع عدم التوسع والإكثار منها ، فقد تَعْثُرُ الزوجة على شيء خلاف ما حدثها به زوجها فتكرهه لكذبه ، فينقلب المراد حيث أن المراد منها الألفة والمحبة .

وحذاري للدعاة من التوسع في التورية ؛ لأن الناس إذا علموا خلاف ما سمعوا من هؤلاء الدعاة فسوف يفقدون الثقة فيهم بل سوف يتهمونهم بالكذب ، ويزهدون في كلامهم وعلمهم .

والتوسع في التورية يؤدي إلى التسامح في بعض الكذبات بحجة أنها لمصلحة العامة ، فالحذر الحذر من ذلك فإن ذلك يتنافى مع نصيحة الرسول ﷺ بتحري الصدق ، فعلى الإنسان أن يتحرى الصدق في كل كلمة تخرج منه وإلا سيكون ذلك تحايلاً على شرع الله ﷻ واستحلالاً للكذب عن

---

(١) البخاري (٥/٢٦٩٢) ، مسلم (٢٦٠٥) .

طريق تحليته بأسلوب آخر وهو التورية فلم يكن استخدام التورية من دأب الرسول ﷺ ولا صحابته الكرام ولا السلف الصالح .

فحذاري حذاري من التحايل على شرع الله لأنه من صفات اليهود المغضوب عليهم فالحلال بين والحرام بين .

إن نشر دعوة الإسلام واستجابة الناس للدعاة تحتاج فعلاً لأُناس آثروا الصدق في أقوالهم وفي أفعالهم حتى يصبح الصدق سجية تجري في عروقهم وتطل من طلعات وجوههم ، فإذا رآهم الناس قالوا : هــذه ليست بوجوه كذابين . ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات والقصص المرغبة في الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزعات الشيطان ، فإن في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله غنية عن الاختراع في الوعظ .

وكذلك علينا بالصدق في الأعمال أي تكون أعمالنا صغيرها وكبيرها خالصة لوجه الله تعالى خالية من الرياء والسمعة ، ليست العبرة بالكثرة ولكن بالإخلاص فيه وصحته وموافقته لشرع الله ﷻ فقال تعالى : ﴿ **الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾ [الملــك : ٢]

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ [الكهف : ١١٠]

عذاب الكذاب يوم القيامة

وضح رسول الله ﷺ عذاب الكذاب يوم القيامة كما رأى في ليلة الإسراء حين صعد السموات ورأى من آيات ربه الكـــبرى فقال النبي ﷺ : ((رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالاَ لِي : أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ فتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْت إِلَى يَوْمِ القِيَامَة))[1].

أي : يعذب بتقطيع شفتيه وتمزيق أعضاء الكلام تعذيباً له بسبب كذبه .

مثال عظيم على صدق الصادقين وكذب الكاذبين المنافقين

في غزوة تبوك تخلف جماعة و لم يخرجوا مع النبي ﷺ حيث كانت الغزوة في شدة الحر – أما المؤمنون الخُلّص فإنهم خرجوا مع النبي ﷺ ، والذين تخلفوا عن هذه الغزوة بعضهم كان له عذره من المؤمنين ، وبعضهم منافقين لم يكن لهم عذر ولكن ادّعوا أن لهم أعذار مختلفة تمنعهم من الخروج ، وبعضهم من المؤمنين الخُلّص و لم يكن لهم أعذار ولكن وسوس لهم الشيطان بعدم الخروج فلم يخرجوا وهم : (كعب بن مالك – هلال بن أمية – مرارة بن الربيع) ، كعب بن مالك كان يتمهل في الخروج كل يوم يقول : سأخرج غداً ، ولكن لم يخرج ووصل النبي ﷺ إلى تبوك وسأل عن كعب بن مالك فلم يجده ودافع عنه معاذ بن جبل وسكت النبي ﷺ . وأخذ كعب بن مالك يلوم نفسه كل

---

(١) البخاري (١٣٨٦) ، (٧٠٤٧) .

يوم حيث أنه وجد نفسه متخلفاً عن الغزوة بدون عذر وفي النهاية وجد نفسه مع المنافقين ، ثم لما بلغه خبر رجوع النبي ﷺ كان يفكر ماذا سيقول للرسول ﷺ وكيف سيبرر موقفه ؟؟ رجع النبي ﷺ ودخل المسجد .

ماذا فعل المنافقون ؟!!

جاءوا إلى النبي ﷺ وجعلوا يحلفون الأيمان الكاذبة أنهم معذورون ، ويتقبل منهم الرسول ﷺ لأن له الظاهر ، أما السرائر فأمرها لله ﷻ وإن كان يعلم من الله نفاقهم وعدم صدقهم فيما قالوا ، ولكنه ﷺ يستغفر لهم ويبايعهم وقد قال الله ﷻ عنهم : ﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [التوبة : ٩٥]

فهؤلاء لن تنفعهم أيمانهم ، ولا ينفعهم استغفار النبي ﷺ لأنهم كاذبون منافقون ولهذا قال الله ﷻ : ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة : ٨٠]

وقال الله عنهم يوم القيامة : ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [المجادلة : ١٨]

إذن الكذب عاقبته سيئة لا تجدي بخير ، لا في الدنيا ولا في الآخرة فهم كاذبون ولكن في نفس الوقت لم ترتاح وتطمئن قلوبهم ولكن كما أخبرنا الرسول ﷺ في قوله : ((**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**))[1].

ففي الحديث أمر بالاحتياط وترك الشيء الذي يشك فيه الإنسان ويخاف منه إلى شيء آخر ليس فيه شك لإزالة القلق ، وفيه دلالة على أنه يجب ترك الكذب والالتزام بالصدق ؛ لأن الكذب ريبة فصاحبه دائما في قلق ، دائما في خوف هل علم الناس كذبه أم لا ؟ هل سيصدقونه أم لا ؟ ولكن الصادق دائما مطمئن القلب مرتاح البال لا يندم على شيء هذا ما ذكرناه سابقاً هو موقف المنافقين ، وكيف كان اعتذارهم إلى النبي ﷺ .

ثم ماذا فعل كعب بن مالك ؟؟

قال كعب بن مالك : أما أنا فعزمت أن أصْدُق النبي ﷺ فدخلت المسجد فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب غير راضٍ عني ثم قال : تعال ، فدنوت منه فلما دنوت منه قال لي : ما خَلَّفك ؟ فقال كعب بن مالك رضي الله عنه : لم أتخلف لعذر ، وما جمعت راحلتين قبل غزوتي هذه ، وإني لو جلست عند أحدٍ من ملوك الدنيا لخرجت منه بعذر فلقد أوتيت جدلاً أي : لو أني جلست عند شخص من الملوك لعرفت كيف أتخلص منه ؛ لأن الله أعطاني جدلاً ولكني لا أحدثك اليوم حديثاً ترضى به عني فيوشك أن يسخط الله

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٤ / ٢٥١٨) ، وصححه الألباني في الإرواء (١٢) .

عليّ في ذلك ، فقال النبي ﷺ : أما هذا فقد صدق فاذهب حتى يقضي الله فيك ما شاء ، فذهب كعب بن مالك ووراءه قومه من بني سلمة يزينون له أن يرجع فيكذب ، ويقولون له يكفيك أن يستغفر لك رسول الله ﷺ ولكنه لم يقبل . وكان معه هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع صدقوا مع الرسول ﷺ كما صدق كعب بن مالك ، ثم أمر الرسول ﷺ الناس أن يهجروهم ، ولا يكلموهم فهجرهم المسلمون لا يسلمون عليهم ، ولا يردون عليهم السلام . يقول كعب : كنت أحضر وأسلم على النبي ﷺ فلا أدري أحرك شفتيه أم لا ؟ وضاقت عليهم الأرض وبقوا على هذه الحال خمسين ليلة تامة ثم أنزل الله ﷻ توبته على هؤلاء الثلاثة فبشرهم الرسول ﷺ بتوبة الله عليهم وفرح المسلمون وانطلقوا ليبشروهم هذا الخبر العظيم .

فهذه هي نهاية الصدق كما أخبرنا الله ﷻ **في قوله** : ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة : ١١٨]

إياكم وسوء الظن !!

حذرنا **الله** ﷻ من سوء الظن في **قوله تعالى** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾[الحجرات : ١٢]

فهذا أمر من الله ﷻ أن نجتنب أكثر الظن ؛ لأن بعضه يوقع صاحبه في الإثم والمعصية . والظن هو أن يظن الإنسان بأخيه المسلم ما ليس فيه أو ما لا يقصده من قول أو فعل فإن سوء الظن إن ترتب عليه إساءة لهذا الشخص بقول أو فعل أو سوء معاملة يأثم صاحبه ولكن قد يسيء الإنسان الظن بشخص معين ولكن يتحكم في نفسه ويجاهدها ولا يحقق هذا الظن بقول أو فعل وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : ((**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً**))[1].

وأيضا إن سمعت كلاماً يُنقل في أحد فأحسن الظن بالمسلمين لأن ما يسوؤهم يسوءك لأن المسلمين كالجسد الواحد ولهذا **قال الله** ﷻ : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ** ﴾ [النور : ١٢]

التجسس والتحسس

صفتان تدلان على حقارة ودناءة من اتصف بهما وكان حريصا عليهما فقد نهانا **الله** ﷻ عن التجسس في قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا ..** ﴾ [الحجرات : ١٢]

---

(١) **البخاري** (٦٠٦٤) ، **مسلم** (٢٥٦٣) .

وقال ﷺ : ((**إِيَّاكُمْ والظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَـــدِيثِ وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا ..**))[١].

ففي الآية الكريمة نهى عن التجسس والتحسس ، وذكر أن التحسس : هو الاستماع لحديث القوم وهم كارهون .

والتجسس : البحث عن الشيء – البحث عن عورات المسلمين – الاطلاع على عورات الناس وأعراضهم وأحوالهم والتدخل في شئونهم ، ومن يفعل ذلك لا يجني خيراً ولكنه يتعب نفسه بدون فائدة بل ويُحملها ما لا طاقة لها به وهو حمل الذنوب والمعاصي ويحرم نفسه أن يكون متصفاً بحسن الإسلام كما أخبرنا الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهـــوى : ((**مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيه**))[٢].

أي إذا ترك الإنسان ما لا يعنيه وما لا يهمه ولا يكون له مصلحة فيه فهذا يدل علي حسن إسلامه ، وقال رسول الله ﷺ في الذي يستمع إلى حديث القوم وهم له كارهون : ((**وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيث قَوْمٍ وَهُمْ لَهْ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِه الآنُكُ**[٣] **يَوْمَ القِيَامَةِ**))[٤].

إذن لننظر بعين الاعتبار ما الذي سنحصله من التجسس ؟؟ إنه ليس وراءه إلا العذاب الأليم .. اللهم نجنا منه .

---

(١) **البخاري** (٦٠٦٤) ، **مسلم** (٢٥٦٣) .

(٢) **صحيح بطرقه** : أخرجه الترمذي (٢٣١٧/٤) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢١١)

(٣) الآنك : الرصاص المذاب .

(٤) **البخاري** (٧٠٤٢) .

تتبع عورات المسلمين والبحث عن زلاتهم

لماذا تنظر في عيوب الآخرين و زلاتهم وأنت غير مسئول عنها ؟ ! لماذا تنسى عيوبك وذنوبك ؟! فإن كل ابن آدم خطاء – اشغل نفسك بنفسك لتنجو من عذاب الله ﷻ – ولا تجعل كل اهتمامك نقض وملاحظة الآخرين : هذا جاهل !! هذا منافق !! هذا مخطئ !! هذا يحب الدنيا !!، فإن شر الناس الذي يسعى في التماس عيوب الآخرين .

إن تتبع عورات المسلمين وزلاتهم يؤدي إلى فسادهم كما جاء في الحديث عن معاوية ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ تُفْسِدَهُمْ**)) فقال : أبو الدرداء ﷺ كلمة سمعها معاوية ﷺ من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها[١].

إنه من الواجب عليك إذا اطلعت على عيوب الآخرين أن تسترها ، ليسترك الله ﷻ في الدنيا والآخرة فقال ﷺ : ((**وَمَن سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**))[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**))[٣].

ولكن علينا أن نلاحظ أن الستر قد يكون غير محمود في مواقف معينة ،

---

(١) حسن : أبو داود (٤٨٨٨) .
(٢) البخاري (٢٤٤٢) ، مسلم (٢٥٨٠)
(٣) مسلم (٢٥٩٠) .

أو مع أُناس معينين وذلك في حالة إن كان سينتج عن هذا الستر إضرار بالمصلحة العامة للمسلمين وإذا كان هناك إنسان يعتدي على المسلمين ويكثر شره ولا ينتهي بالنصح والإرشاد فهذا لابد أن نبين أمره حتى يردوه عما هو فيه .

ينبغي عليك إذا رأيت غيرك على معصية أو كبيرة أن تشكر **الله** ﷻ أن نجاك وأمثالك منها وادع له بالهداية والمغفرة وإليك هذه القصة .

عن أبي هريرة قال أُتى النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه ، فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل : ما له أخزاه الله ؟! فقال رسول الله ﷺ : ((**لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطانِ عَلَى أَخِيكُمْ**))(١)

فهذا دليل على عدم جواز الدعاء على أحد من المذنبين بالخزي أو غيره ولكن الدعاء له بالهداية ونسأل الله له المغفرة ، وندعو الله أن يعافينا من فعله . ثم لابد أن تجاهد نفسك على العدل لا تنظر إلى العيوب فقط وتنسى المحاسن لا تنظر إلى السيئات وتنسى الحسنات ألم تسمع قول النبي ﷺ : ((**لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**))(٢).

أي لا يُبغض مؤمن مؤمنة على سوء خلق فيها فإنك لا تتعامل مع ملائكة ولكن الناس كلهم عيوب وغير معصومين من العيوب ، وأنت من الناس فيك ما فيك لذلك لا تنظر إلى ما فيها من سوء خلق انظر إلى ما فيها

---

(١)**البخاري** (٦٧٨١/١٢) .

(٢)**مسلم** (١٤٦٩) عن أبي هريرة .

من محاسن وهذا عام في تعامل الناس جميعاً بعضهم مع بعض وليس في حال الزوج والزوجة فقط . إن هناك من يتحدث عن عيوب الآخرين ويجد في ذلك لذة ومتعة استجابة لتزيين الشيطان أعاذنا الله وإياكم من هؤلاء وأمثال هؤلاء توعدهم الله بالعذاب الأليم في **قوله تعالى** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور : ١٩]

التواضع و عدم الكبر

التواضع عكس الكبر : فالتواضع عدم التعالي على الآخرين بعلم أو مال أو نسب أو وظيفة أو منصب أو منظر أو غير ذلك .

والكبر : هو الترفع على الآخرين ، وأن يعتقد الإنسان في نفسه أنه أفضل من الناس أو أن له فضل عليهم .

وقد عرف الرسول ﷺ الكبر في هذا الحديث : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)) فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكـــون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال ﷺ : ((**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ**[١] **وَغَمْطُ النَّاسِ**[٢]))[٣].

---

(١) بطر الحق : إنكاره والترفع عليه .

(٢) غمط الناس : احتقارهم .

(٣) **مسلم** (٩١) .

وفي الحديث دلالة على عدم دخول الجنة لمن اتصف بالكبر-والكبر هو التكبر على شرع **الله** ﷻ وعلى خلق الله - أما من كان متكبراً على خلق الله فقط وليس متكبراً على شرع الله فإنه ينال العذاب على قدر تكبره وعلوه على الخلق ثم إذا طهر يدخل الجنة بخلاف من كان متكبرا على شرع الله وعباد الله فإنه لا يدخل الجنة مطلقاً لأنه كافرٌ مخلدٌ في النار وهذا أيضاً جاء واضحاً في **قوله تعالى** : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [القصص : ٨٣]

وفي الحديث دلالة على أنه لا دخل للكبر بالمظهر الجميل والثوب الحسن والنعل الحسن ، بل إن **الله** ﷻ جميل في ذاته - جميل في أفعاله - جميل في صفاته - **والله** ﷻ يحب التجمل في كل شيء ، ولكن مع مراعاة أن يكون التجمل في حدود المباح ، ولا يتجمل الإنسان بشيء حرمه **الله** ﷻ فإن الإنسان إذا تجمل ابتغاء وجه **الله** ﷻ فإنه يثاب على ذلك ، لأنه بتجمله يجذب القلوب إليه ، ويحببه إلى الناس وهــذا بخلاف التشوه الذي يكون فيه الإنسان قبيحاً في ثوبه - وفي شعره فإنه ينفر الناس .

للأسف الشديد كثير من الناس يظن أن الالتزام بدين **الله** ﷻ وبمنهجه ينقل الإنسان من حــالة إلى حالة ، يظن أن الالتزام يجعل الإنسان يُهمل في ثيابه ، في مظهره ، في بيته ، ولكن ليس الأمر كذلك ألم تقرأ قول **الله** ﷻ : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا**

إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١]

ففي الآية الكريمة أمر للناس جميعاً أن يأخذوا زينتهم وخاصة عند أفضل الأماكن عند مساجد **الله** ﷻ التي يذكر فيها اسمه ؛ حتى لا ينفر أحد من أحد ولا يشمئز أحدٌ من أحد ، ولكن ليحدث الوفاق والحب والألفة ، وأمر **الله** ﷻ بالأكل والشرب ولكن كل ذلك في حدود شرع **الله** ﷻ لا تكون المتعة في الأكل والشرب والملبس بشيء حرمه **الله** ﷻ .

فالبس وتنظف وكل واشرب : فلا أحد يعترض عليك في جمال ثيابك ، ولا أحد يعترض عليك في حسن حذائك ، ولا في بهاء منظرك ولا أحد يعترض عليك في نظافة بيتك وفراشك ونظامه ، ولا أحد يعترض عليك في نظافة سيارتك ، ويُنكر **الله** ﷻ على من يحرم زينة **الله** ﷻ **في قوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾** [الأعراف : ٣٢]

فزينة **الله** ﷻ في حدود المباح بدون إسراف حلال للجميع ، يتمتع بها الناس جميعاً في الدنيا مؤمنهم وكافرهم ، ولكن في الآخرة خاصة بالمؤمنين فقط ، اللهم اجعلنا منهم .

إن الرسول ﷺ كان لا يستريح للمظاهر غير النظيفة ، ولنا فيه الأسوة الحسنة فقد روى أبو داود وغيره عن جابر ﷺ قال : أتانا رسول الله ﷺ

فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال النبي ﷺ : ((**أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ**)) - أي من دهن وغيره - قال : ورأى رجلاً آخر عليه ثياب وسخة فقال ﷺ : ((**أَمَا كَانَ يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ**))[١].

وقال ﷺ : قال الله ﷻ : ((**العِزُّ إِزَارِي وَالكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ يُنَازِعُنِي فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَقَدْ عَذَّبْتُهُ**))[٢].

أي من نازع الله ﷻ في كبريائه وتكبر على عباد الله فإن الله يعذبه .

وقال الله ﷻ : ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان : ١٨]

أي لا تلوي وجهك وعنقك استكباراً على الناس ولا تمشي تبختراً وتعاظماً وتكبراً .

وقال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٧]

فاعرف قدر نفسك إنك مخلوق ضعيف ستصير تراباً فكيف تمشي في الأرض مرحاً متكبراً متبختراً ؟! فمهما فعلت فإنك لن تستطيع أن تخرق الأرض وتنزل فيها ، ولا أن تتساوى مع الجبال ، ولكن عليك أن تحذر من عذاب الله ﷻ للذي يمشي في الأرض مرحاً كما جاء في هذا الحديث : أن

---

(١) **حسن** : النسائي (٥١٤١) ، أبو داود (٤ / ٤٠٦٢) .

(٢) **مسلم** (٢٦٢٠) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما .

رسول الله ﷺ قال : ((**بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))(1).

فهذا يمشي متكبراً متبختراً ممشط الرأس حسن الهيئة معجباً بنفسه فخسف الله به الأرض ، فهو لا يزال يغوص وينْزل فيها إلى يوم القيامة ، وهذا كما حدث لقارون عندما خرج في زينته متكبراً بنعمة **الله** ﷻ ناسياً المنعم ناسياً **الله** ﷻ الذي أنعم عليه ولكن يقول : إنما أوتيته على علم ، فماذا فعل الله به **قال تعالى** : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ** ﴾ [القصص : ٨١]

إذا رأيت نفسك في نعمة تذكر المنعم – **الله** ﷻ – فأشكر نعمته ولا تجحدها و كن من الشاكرين ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى : ١١]

وشكر النعمة يكون بطاعة **الله** ﷻ وعدم استخدامها في معصية **الله** ﷻ وشكر النعمة يؤدى إلى زيادها من **الله** ﷻ كما أخبرنا **الله** ﷻ **في قوله** : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم : ٧]

واعلم أنك مسئول أمام **الله** ﷻ عن هذه النعمة فاتق **الله** ﷻ فيها .

قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر : ٨]

إن إنكار نعمة **الله** ﷻ من صفات الكافرين **كما قال تعالى** : ﴿ **يَعْرِفُونَ**

---

(1) **البخاري** (١٠ / ٥٧٨٩) ، **مسلم** (٢٠٨٨) .

نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣]

لقد أمر الله ﷻ رسوله بالتواضع للمؤمنين ولنا فيه الأسوة الحسنة **فقال تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** [الشعراء : ٢١٥]

بل إن التذلل للمؤمنين سبباً في حب الله ﷻ لعباده المؤمنين **كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾** [المائدة : ٥٤]

نعم إن الأحاسيس واحدة في البشر ، ولكن جعل الله ﷻ عندهم قدرة على التحكم فيها والسيطرة عليها بما يوافق شرع الله ﷻ إذا كان يتعامل مع كفار يغلظ عليهم ويتعالى عليهم إلا إذا كان الكافر يُرجى إسلامه نعامله بطلاقة وجه وتواضع وبشر رجاء إسلامه ، وانتفاعه بهذا اللقاء – أما إذا كان لا يزيده إلا تعالياً على المسلم وترفعاً عليه فإنه لا يقابل بذلك **لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾** [التوبة : ٧٣]

وإذا كان يتعامل مع مؤمنين فعليه بالتواضع والتذلل لهم ولقائهم بوجه طلق وملاقاتهم بالتحية والابتسامة وحسن المنطق والكلمة الطيبة ، فإن الكلمة الطيبة صـــدقة وقد وضح هذا رسولنا ﷺ : ((**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً**

وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))(١)

وقال ﷺ : ((الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ))(٢)

وبهذا اللقاء تنال الأجر والثواب من الله وينشرح صدر الآخر بخلاف إن لقيته عابساً مُغضباً مُعرضاً لآوى نفسك عنه فسوف تقع في الإثم لأن الله ﷻ نهانا عن ذلك في قوله : ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ .. ﴾ [لقمان : ١٨]

إياكم و السخرية من الآخرين و الاستهزاء بهم !!

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١]

فقد نهى الله ﷻ عن السخرية بالناس واحتقارهم ، فهذا من الكبر كما ذكرنا سابقاً ، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدراً عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه .

اعلموا أن أفضل الخلق وأكرمهم عند الله أتقاهم

فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

---

(١) مسلم (٢٦٢٦) .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (١٠٠٩) .

واحذروا أن تزكوا أنفسكم :

واحذروا الإعجاب بالعمل **لقوله تعالى** : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلْ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ [النساء : ٤٩]

ونهى **الله** ﷻ عن تزكية النفس في **قوله تعالى** : ﴿ .. **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى** ﴾ [النجم : ٣٢]

إن الإعجاب بالنفس والعمل قد يكون سبباً لإحباط العمل فقد يعجب الإنسان بصلاته ، بقراءته للقرآن ، بنفقته ، وبعلمه

فعليك إذا رأيت من نفسك إعجاباً أن تتواضع ولا تعظم عملك في عينيك ، تذكر أن عملك قد لا يقبل منك إنما يتقبل الله من المتقين ، أين أنت من صحابة رسول الله ﷺ ؟! ، أين أنت من ابن عمر – رضى الله عنهما – ؟! فكان يقول : لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب ، وذلك **لقوله تعالى** : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٧]

ولو رأيت إنساناً فاسقاً وأنت يظهر عليك الصلاح فلا تستكبر عليه ، واحمد الله تعالى أن نجاك مما ابتلاه به وتذكر أنه ربما يكون في عملك الصالح رياء يبطله ؛ بل قد يكون في هذا المذنب من الندم والانكسار والخوف من الخطيئة ما يكون سبباً في غفران ذنبه .

إليك هذا المثال

عن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ حدث : ((**أَنَّ رَجُلاً قَالَ : وَاللهِ ! لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلانٍ ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**))(١).

والنبي ﷺ كان يصلي حتى تورمت قدماه فقيل له أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فيقول : ((**أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً**))(٢)

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : ((**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**)) ، فقلت : يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال : ((**نَعَمْ ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**))(٣).

بل إنه يخاف العبد من سوء الخاتمة وقد قال ﷺ : ((**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**))(٤).

ولحديث النبي ﷺ : ((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ذِرَاعٍ أَو ذِرَاعَيْنِ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**))(٥).

---

(١) **مسلم** (٨ / ٢٦٢١) .

(٢) **البخاري** (١١٣٠) التهجد ، **مسلم** (٩ / ٢٨٢٠) .

(٣) **صحيح** : الترمذي (٢١٤٠) - ابن ماجه (٣٨٣٤) ، وصححه الألباني .

(٤) **البخاري** (٦٦٠٧) .

(٥) **البخاري** (٦٥٩٤) ، **مسلم** (٢٦٤٣) .

إن أهل الإيمان يعملون ويخافون ولهذا قال الله ﷻ عنهم : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾[المؤمنون : ٦٠]

من التواضع أن تتقبل نصيحة الآخرين

كان سفيان الثوري يقول : أدركنا الناس وهم يحبون من قال لهم : اتق الله تعالى ، وقد صاروا اليوم يتكدرون من ذلك .

احذر عدم قبول النصيحة والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فأنت لست آمراً دائما ولا ناهياً دائما ولكن أحيانا تَأمر وأحيانا تُؤمر وأحيانا تَنهى وأحيانا تُنهى وتذكر **قوله تعالى** : ﴿ **وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر : ١ - ٣]

وتواصوا بالحق : أي أوصى بعضهم بعضاً بالحق ، والحق هو الخير كله من أداء الطاعات وترك المحرمات والإيمان والتصديق وعبادة الرحمن .

وتواصوا بالصبر : أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله والصبر على ترك المعاصي والصبر على الأقدار المؤلمة .

احذر أن تكون من الذين **قال الله تعالى فيهم** : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾[سورة البقرة : ٢٠٦]

إن من كمال الإنسان أن يتقبل النقد والملاحظة بدون حساسية أو انزعاج أو شعور بالخجل أو بالضعف ، وها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

ﷺ يحمل الراية ويرفع الشعار ويقول : رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا .

إذا كنت من المتعبدين ، فحذاري حذاري من أن يتطرق إلى نفسك داء الكبر والغطرسة والاستعلاء على الناس .

وروى الخطابي في العزلة : أن الإمام الفذ عبد الله بن المبارك - أمير المؤمنين - قدم خراسان فقصد رجلاً مشهوراً بالزهد والورع ، فلما دخل عليه لم يلتفت إليه الرجل ، ولم يأبه به ، ولم يهتم به ، فخرج من عنده عبد الله ابن المبارك فقال له بعض من عنده : أتدري من هذا ؟ قال : لا ، قالوا : هذا أمير المؤمنين في الحديث ... هذا عبد الله بن المبارك ، فبهت الرجل وخرج إلى ابن المبارك مسرعاً يعتذر إليه ويتنصل مما حدث وقال يا أبا عبد الرحمن : اعذرني وعظني ، قال ابن المبارك : نعم إذا خرجت من منْزلك فلا يقعن بصرك على أحد إلا رأيت أنه خيرٌ منك .

انظر إلى النصيحة كيف جاءت مناسبة من المنصوح لأنه علم منه عدم التواضع والتكبر على الناس .

احذر أن تنتصر لنفسك

دائما انصر الحق وأهل الحق ، فالواجب أن يرجع الإنسان للحق حيثما وجده حتى ولو خالف قوله فليرجع إليه ، فهذا أعز له عند الله وأعز له عند الناس ، ومن تواضع لله رفعه الله ، كما أخبرنا الرسول ﷺ في قوله : ((**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ**))[1].

---

(١) مسلم (٢٥٨٨) .

فلا تظن أنك إذا رجعت عن قولك إلى الصواب أن ذلك يضع منْزلتك عند الله ، بل سيرفع منْزلتك عند الله وعند الناس ، فنجد البعض من القائمين بالدعوة أو أهل العلم يفتون في أمر ما ، ثم يتبين لهم أن الحق خلاف ما أفتوا وقالوا به فيبقى على رأيه ، ويخاف أن يقال عنه إنه إمَّعةٌ كل يوم له قول فهذا إنسان ينتصر لنفسه ولا ينتصر للحق . فأين هذا من بعض الأئمة كالإمام أحمد – رحمه الله – إمام السنة ؟! نجد له أحيانا في المسألة الواحدة أكثر من قول !! لماذا ؟ لأنه إذا تبين له الدليل رجع إليه وقال به ودعا إليه .

أكثر أهل الجنة من الضعفاء والمساكين وأكثر أهل النار من الجبارين والمتكبرين ، قال ﷺ : ((**احْتَجَّت الجَـنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتْ النَّارُ : يَدْخُلُني الجَبَّارُونَ وَالْمُتَكبِّرُونَ ، وَقَالَتْ الجَنَّةُ : يَدْخُلُني الضُّعَفَاءُ المَسَاكِينُ ، فَقَالَ اللهُ ﷻ للنَّارِ أَنْت عَذَابي أُعَذِّبُ بك مَنْ أَشَاءُ وَقَالَ للْجَنَّة : أَنْت رَحْمَتي أَرْحَمُ بك مَنْ أَشَاءُ وَلكلَيْكُمَا عَلَيَّ ملْؤُهَا**))[1] .

ففي الحديث دلالة على أن أكثر أهل الجنة من الضعفاء والمساكين لأنهم لا يهتمون بمنصب ولا جاه ولا يسعون لعلو المنازل في الدنيا كل همهم أن يكون لهم جاه عند **الله** ﷻ ، وليس هذا على الإطلاق ، ولكن هناك من الفقراء والمساكين من يستكبر بغير الحق ، ومثل هؤلاء توعدهم **الله** ﷻ بالعذاب الأليم فقال ﷺ : ((**ثلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة وَلاَ يُزَكِّيهِمْ**

(١) **البخاري** (٤٨٥٠) عن أبي هريرة ، **مسلم** (٢٨٤٦ – ٢٨٤٧) عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى واللفظ له .

وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مَسْتَكْبِرٌ))[1].

ففي الحديث دلالة على أن هؤلاء الثلاثة أصناف لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .

الشيخ الزان : لأنه شيخ ، والشيخ غالباً ليس لديه شهوة تدفعه للزنا .

والملك الكذاب : فالملك لماذا يكذب ؟ فكلمته نافذة ولها مكانة بين الناس .

والعائل المستكبر : العائل هو الفقير كما جاء في **قوله تعالى** : ﴿ **وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى** ﴾ [الضحى : ٨]

الفقير المستكبر يستكبر على الناس لماذا ؟ فلا يوجد شيء يدفعه لهذا الاستكبار .

وغالب الملأ ((سادة القوم)) والأشراف يكونون متكبرون جبارون ، فيكونون من أهل النار ؛ لأنهم دائما بعيدين عن دين **الله** ﷻ ، سعيهم دائما للدنيا وليس للآخرة ، ولهذا يأتي الواحد منهم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، ليس معنى ذلك أن الإنسان الغني صاحب النسب والجاه يكون بعيدا عن **الله** ﷻ ليس كذلك ولكن هناك من أصحاب المال والجاه والسلطان يستخدمون كل ذلك في طاعة **الله** ﷻ والدعوة إليه ، لا يتكبرون بمال ولا جاه ولا سلطان ولكنهم متضعفون وهذا كما أخبرنا رسول الله ﷺ.

---

(١) **مسلم** (١٠٧) عن أبي هريرة .

في قوله : ((**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّة ؟**)) قالوا : بلى . قال : ((**كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَهُ** - ثم قال - **أَلاَ أُخْبِرُكُمُ بِأَهْلِ النَّارِ ؟**)) قالوا : بلى . قال : ((**كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**))[1].

ففي قوله ﷺ متضعِّف دلالة على عدم الضعف ولكنه متواضعاً يظهر عليه أثر الضعف وعدم الاستعلاء على الآخرين .

والعُتل الجواظ : الغليظ الجافي الذي يجمع و يمنع و لا يعطي .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : ((**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**))[2].

أي : كم من رجل أشعث لا يجد ما يمشط به رأسه أو يدهن به شعره ويظهر عليه آثار الضعف والفقر ، أغبر عليه أثر الفقر يدفعه الناس إذا أتى إلى أبوابهم لا يأذنون له بالدخول لأنه ليس له قيمة عند الناس ولكن عند الله ﷻ له قيمة عظيمة ؛ لأن الميزان عند الله يختلف فالميزان هو تقوى الله ﷻ ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] ومثل هذا قال ﷺ عنه : لو أقسم على الله لأبره أي لو أقسم رجاء عفو الله ﷻ ورحمته لأبر الله قسمه .

---

(١) البخاري (٨ / ٤٩١٨) ، مسلم (٢٨٥٣) كلاهما عن وهب بن الحارث .
(٢) مسلم (٢٦٢٢) .

ومثال على ذلك

من المعلوم أن الله ﷻ أمر بالقصاص في **قوله تعالى** : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٥]

فالذي حدث أن الربيع بنت النضر – رضى الله عنها – وهى من الأنصار كسرت ثنية جارية من الأنصار فرفعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ فأمر النبي ﷺ أن تكسر ثنية الرُّبَيِّع بنت النضر كما أمر **الله** ﷻ في آية القصاص فقال أخوها أنس بن النضر : والله يا رسول الله لا تكسر ثنية الربيع ، فقال ﷺ : ((**يَا أَنَسُ كِتابُ الله القِصَاصُ**)) فقال : والله لا تكسر ثنية الربيع[1].

فإنه يقسم بالله ليس رداً لحكم الله ورسوله ، ولكنه يحاول بقدر ما يستطيع أن يتكلم مع أهل الجارية حتى يعفوا عن الرُّبَيِّع أو يأخذوا الدية ، وفعلاً عفا أهل الجارية عن الربيع فقال ﷺ عن أخيها أنس : ((**إنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ**)) .

---

(١) البخاري (٢٧٠٣ ، ٢٨٠٦ ، ٤٤٩٩ ، ٤٥٠٠ ، ٤٦١١ ، ٤٨٩٤) ، عن أنس ﷺ ، مسلم (١٦٧٥) .

إياك و الاغترار بأهل الدنيا و بزينة الدنيا !!

قد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بأن يصـــبر نفسه مع ضعفاء قومه في **قوله تعالى** : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ [الكهف : ٢٨]

فهؤلاء من صفاتهم أنهم يدعون الله صباحاً ومساءاً يبتغون الآجر والثواب من **الله** ﷻ **وقال تعالى أيضا** : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾
[طــه : ١٣١]

أي لا تنظر إلى هؤلاء من أهل الدنيا الذين متعهم **الله** ﷻ فكل هذا المتاع نهايته الزوال والذبول مثل الزهرة ، ولكن رزق **الله** ﷻ بالطاعة والهداية أفضل وأبقى ؛ وقد امتثل النبي ﷺ لأوامر **الله** ﷻ فكان ﷺ يقول : ((**اَللُّهَّم إنَّ العَيْشَ عَيْشَ الآخرَة**)).

الرسول ﷺ لما اعتزل نساءه صعد إليه عمر بن الخطاب ﷺ في تلك المشربة فرآه على رُمال حصير قد أثر بجنبه ، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال : يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس وقال : ((**أَفي شَك أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّاب ؟**)) ثم قال ﷺ : ((**أُولئكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا**))[1].

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسير **قوله تعالى** : ﴿ وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٣٥]

الرسول ﷺ عندما سُئلت عائشة – رضى الله عنها – ماذا كان النبي ﷺ يصنع في بيته قالت : كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج[١] .

فانظر إلى خلق النبي ﷺ وتواضعه يساعد نسائه في عمل المنْزل .

الآن انقلبت الموازين يظن كثير من الرجال أن مساعدة الرجل لأهله في بيته يقلل من قوامته ورجولته ، بل يستحي أن يعرف أحد أنه قام بشيء من أعمال بيته ؛ لأهم يرون أن القوامة غلظة وجفاء وانفراد بالرأي فقد اخطأوا وأساءوا ؛ فقد كان ﷺ رحيماً رفيقاً مشاوراً لنسائه ولصحابته الكرام فليكن لنا فيه أسوة حسنة وكفانا تحاكماً للعادات والتقاليد .

ومن التواضع أن لا يعيش الإنسان لنفسه ودنياه ولكن يعيش لأمته كما كان ﷺ ؛ إذ تقول أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – لما سألها عبد الله ابن شقيق ﷺ ، هل كان النبي ﷺ يصلي وهو قاعد ؟ قالت : نعم بعدما حَطَمَهُ الناس))[٢] .

فقد كان ﷺ يتصدى للناس يستقبلهم ويودعهم يأمرهم وينهاهم ، يحتك بهم ويتحمل أخطاءهم لذلك حطمه الناس وأثروا في بدنه حتى أصبح يصلي جالساً وأسرع إليه الشيب .

وأخيراً إذا كنت تريد العزة والعلو فعليك بمنهج الله ﷻ بكتاب الله وسنة رسوله ، كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّه**

---

(١) **البخاري** (٥٣٦٣) .

(٢) **مسلم** (٧٣٢) .

الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر : ١٠]

ولنعلم جميعاً أن كل ارتفاع في الدنيا لا بد أن يؤول إلى انخفاض في الآخرة ولابد أن ينتهي ولنتدبر **قول الله** ﷻ : **﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** [يونس : ٢٤]

فالدنيا كلها تزول كأن لم تكن بعد أن بلغت ذروتها في الجمال والحسن وهكذا الإنسان .

وعن أنس ﷺ قال : كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبق أو لا تكاد تُسبق فجاء أعرابي على قعُود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه النبي ﷺ فقال : ((**حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ وَضَعَهُ**))[1].

فهذا بالنسبة لأمور الدنيا أما أمور الآخرة فما ارتفع منها لا يضعه **الله** ﷻ **لقوله تعالى** : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾** [المجادلة : ١١]

---

(١) البخاري (٦/٢٨٧٢) .

إياكم و الظلم فإن الظلم ظلمات

قال تعالى محذراً من الظلم : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨]

وقال ﷺ : ((اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ))[1].

والظلم نوعان

بين العبد وربه ، وبين العباد وبعضهم

١- ظلم بين العبد وربه : وهو الذي يتعلق بحقوق الله ﷻ وهو أيضا أنواع أعظمها الشرك بالله ﷻ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] لأن الشرك لا يغفره الله ﷻ و يغفر ما دونه من الذنوب كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٨] وأيضا الكبائر من أنواع الظلم في حق الله ﷻ وكذلك الصغائر .

٢- النوع الثاني من الظلم : بين العبد وبين عباد الله ﷻ وهو الذي يتعلق بحقوق العباد ويشمل :

١- ظلم في النفس : وهذا يكون فيه القصاص كما أخبرنا الله ﷻ في

---

(١) مسلم (٢٥٧٨) .

قوله : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥]

ظلم في الأموال : وهو أن يأخذ مال غيره بغير وجه حق ، وهذا كفارته أن يرد هذا المال لصاحبه وإن مات صاحبه يعطى لورثته ، وإن لم يتمكن من الوصول إليهم يتصدق به عنه والله ﷻ يؤدي إلى صاحب الحق حقه .

ظلم في الأعراض : مثل السب والغيبة أو غير ذلك وهذا كفارته أن يعتذر إلى المظلوم ، إن علم تقبله ويُثني عليه ويُنفي ما قاله عنه ، ويعطيه مالاً أو هدايا أو ما أشبه ذلك ، ويدعو له ويستغفر الله ﷻ ويكثر من الحسنات لأن الحسنات يذهبن السيئات .

اعلموا أن الظلم في حق الله ﷻ فيه التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله ﷻ . ولكن الظلم في حق العباد إذا لم يُطهر الإنسان نفسه منه في الدنيا فإنه سيُقتص منه يوم القيامة ، وكيف سيكون القصاص ؟ سيكون بإعطاء المظلوم من الحسنات فإن لم تكن للظالم حسنات أخذ من سيئات المظلوم ، وهذا يومٌ عظيم يوم يقول الإنسان نفسي نفسي ، كل إنسان يريد الفرار بنفسه ، يطلب الرجل من زوجته حسنة واحدة فلا تستجيب له ، يطلب الرجل من ولده حسنة واحدة فلا يستجيب له وهكذا ....

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخيه منْ عرْضه أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحلَّلْهُ منْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دينارٌ وَلاَ درْهَمٌ إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالحٌ أُخذَ منْهُ بقَدْرِ مَظْلَمَته وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخذَ منْ سَيِّئات صَاحبه فَحُمل عَلَيْه**))[1].

فليتحلله منه : بأن يؤدي المظالم إلى أهلها أو استحلالهم منها ، أي : يطلب منهم العفو عنه .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلسُ ؟**)) قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : ((**إنَّ الْمُفْلسَ منْ أُمَّتي يَأْتي يَوْمَ القيَامَة بصَلاَة وَصيَام وَزَكَاة ، وَيَأْتي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا منْ حَسَنَاته وَهَذَا منْ حَسَنَاته فَإنْ فَنيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْه أُخذَ منْ خَطَايَاهُمْ فَطُرحَتْ عَلَيْه ثُمَّ طُرحَ في النَّار**))[2].

فهذا المفلس يعمل في الدنيا يُصلي ويصوم ويزكى ولكنه يظلم الناس فعمله يفقده يوم القيامة يعطيه لمن ظلمه وليس هذا فقط ولكن يأخذ من سيئاهم ، فأي انتصار للمظلوم يكون أعظم من هذا ؟! إنه الفوز العظيم . هذا هو الإفلاس الحقيقي : إفلاس الآخرة – ولكن إفلاس الدنيا ليس له أي

(١) البخاري (٥/ ٢٤٤٩) .
(٢) مسلم (٢٥٨١) .

اعتبار فالدنيا تذهب وتأتي فإن الإنسان قد يصبح غنياً ، وقد يُمسي فقيراً ، أو العكس فالحال متغير - ولكن إفلاسَ الآخرة إفلاسٌ من الحسنات يراها تذهب لفلان وتذهب لفلان حتى تنتهي .

اعلموا أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين **الله** ﷻ حجاب فلا بد أن تتحقق في الظالم كما قال النبي ﷺ في قوله : ((**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**))[1].

فإن دعوة المظلوم على الظالم لابد أن يقتص **الله** ﷻ للمظلوم ويستجيب له في الدنيا دعاءه وقال ﷺ : ((**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**))[2].

فيؤكـد النبي ﷺ أنه لابد أن تؤدى الحقـوق إلى أهلها يوم القيامة ، فالبهائم التي لا تعقل يجعلها **الله** ﷻ تقتص بعضها من بعض يوم القيامة ، فالشاة الجلحاء التي ليس لها قرن تقتص من الشاة القرناء التي لها قرن ، ولكن ماذا بعد ذلك ؟ يُقال لها كوني تراباً .

ولكن بني آدم يقتص بعضهم من بعض بالحسنات والسيئات ، ثم إما إلى الجنة أو إلى النار والعياذ بالله .

الظالم إن لم يتب من ظلمه لابد أن يُلحق به عذاب **الله** ﷻ عاجلاً في الدنيا وقد يكون خـيراً له لينتهي عن ظلمه أو آجلاً في الآخرة يوم لا ينفع

---

(١) جزء من حديث معاذ ﷺ : **البخاري** (٣ / ١٤٥٨) **ومسلم** (١٩) .
(٢) **مسلم** (٢٥٨٢) .

الظالمين معذرتهم ، كما قال ﷺ : ((**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ** ثم قرأ : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود : ١٠٢][1].

عذاب من أخذ أرضاً بغير حق

عن عائشة – رضى الله – عنها أن رسول الله ﷺ قال : ((**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَاضِينَ**))[2]

أي من أخذ أرضاً بغير وجه حق وإن كانت شبراً أو أقل أو أكثر يعاقبه الله ﷻ بأن يضع له طوقاً في عنقه يوم القيامة من سبع أرضين يحمله أمام الناس فيفضح به على رؤوس الخلائق والعياذ بالله .

حكم الحاكم لا يحل حراماً و لا يحرم حلالاً

كثير من الناس يتحاكم إلى الحكام ليأخذ شيئاً ليس من حقه ، فأمثال هؤلاء وإن حكم لهم الحكام بغير حقهم فإنهم ظالمون يقتص الله ﷻ منهم ولهم عذاب أليم ، وقد قال الله ﷻ في ذلك : ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة البقرة : ١٨٨]

وقال ﷺ : ((**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ**

---

(١) البخاري (٣ / ١٤٥٨) ، ومسلم (٢٥٨٣) .

(٢) البخاري (٥ / ٢٤٥٣) ، ومسلم (١٦١٢) .

أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ تَأْخُذْهَا))[1].

أي إنما أنا بشر مثلكم ، فلا أعلم من المحق منكم ومن المبطل وإنكم تأتون إليّ لأحكم بينكم فيكون بعضكم أفصح وأقوي كلاماً وأقوى جدلاً ، والثاني ليس كذلك ، فأحكم لهذا الذي هو أفصح وأقوى مع إنه حقيقة ليس له الحق ولكن القضاة يحكمون بالظاهر وإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا لهم أجر فمن قضى له بأخذ حق أخيه فكأنما حُكم له بأخذ قطعة من النار وهكذا كما قال النبي ﷺ الظلم ظلمات يوم القيامة ، فإن يوم القيامة من لم يجعل الله له نورا فما له من نور . والنور يجعله الله ﷻ لعباده الطائعين وأما غيرهم من الظالمين فالعياذ بالله ظلمات بعضها فوق بعض .

رسولنا ﷺ يأبى الظلم للبهائم ويدافع عنها

وإليك هذا المثل العظيم :

الرسول ﷺ في غزوة الحديبية حرنت ناقته وأبت أن تمشى وكان اسمها القصواء فقال الصحابة : خلأت القصواء خلأت القصواء ((أي حرنت وبركت من غير علة)) فقال ﷺ : ((**واللهِ مَا خَلأَتِ القَصْوَاءُ وَمَا ذَلكَ لَهَا بِخُلُقٍ بَلْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ**)) وحابس الفيل هو الرب سبحانه وتعالى ، ((**وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خِطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلاَّ أَجَبْتُهُمْ عَلَيْهَا**))[2].

---

(١) البخاري (٥ / ٢٦٨٠) ، ومسلم (١٧١٣) .
(٢) البخاري (٢٧٣١ - ٢٧٣٢) .

الانتصار للمظلوم من الظالم

إن انتصار المظلوم من الظالم والقصاص منه أمر أحله الله ﷻ فقال الله ﷻ في صفات المؤمنين في سورة الشورى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** ﴾ [الشورى : ٣٩]

أي : أن فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين بل يقدرون على الانتقام .

ولكن كيف يكون الانتصار ؟ قال الله ﷻ : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الشورى : ٤٠] وكذلك في آية القصاص قال الله ﷻ : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٥]

وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٦]

فيتضح أن القصاص والعقاب والانتصار من المظلوم لا بد أن يكون بالمثل فمعنى ذلك أنه إذا زِيدَ في القصاص والعقاب ينقلب الإنسان من حالة المظلوم إلى حالة الظالم **وقال تعالى** : ﴿ **وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ** ﴾ [الشورى : ٤١]

أي : ليس عليهم إثم ولا ذنب ولكن لا بد أن يكون بقدر الإساءة والظلم ولكن الله ﷻ وضح في الآيات السابقة أن العفو أفضل والصبر أفضل .

كظم الغيظ وعدم الانتقام أفضل

قال الله ﷻ في صفات المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٧]

فالمؤمنون صفاتهم الصفح والعفو عند المقدرة ، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله ﷻ ، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى(١).

ففي الحديث دلالة على كرم النبي ﷺ فما ضرب أحد بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا يضرب أحد على شيء من حقوقه هو الخاصة به لأن له أن يعفو عن حقه وله أن يأخذ بحقه ، ولكن العفو أفضل لآن الجزاء من جنس العمل فمن عفا فأجره على الله ﷻ . ولكن إذا انتهكت حرمات الله فلا يرضى بذلك ويكون أشد ما يكون أخذاً بها .

---

(١) مسلم (٢٣٢٨) .

كظم الغيظ من صفات المتقين

كما جاء في سورة آل عمران في **قوله تعالى** : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤]

إن الغيظ يجعل الإنسان ينفعل والغيظ من أسبابه الإساءة والظلم من الآخرين ، والانفعال شيء طبيعي في النفس البشرية والإنسان لابد أن تكون له أحاسيس وانفعالات في المواقف المختلفة وإلا كان عديم الإحساس . ولكن المهم هو أن يتحكم المؤمن في كيفية هذا الانفعال فالرسول ﷺ حينما مات ابنه إبراهيم انفعل وبكى وحزن على فراق ابنه ولكن قال : ((**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلْبَ يَحْزَنُ وَلاَ نَقُولُ إلاَّ مَا يَرْضَي رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمُحْزُونُونَ**))[1]

والآية الكريمة ذكر **الله** ﷻ فيها ثلاث مراحل للتحكم في الغيظ والانفعال وعدم إخراجه :

١- والكاظمين الغيظ : فالإنسان يغتاظ ولكن لا يخرج غيظه .

٢- والعافين عن الناس : العفو أن تخرج الغيظ من قلبك وكأنه لم يحدث

٣- الإحسان : وهو مقابلة الإساءة بالإحسان وهذه هي أفضل طريقة

---

(١) **البخاري** (١٣٠٣) .

لمعاملة المسيء والعدو لأنها تجعل من العدو صديق حميم .

كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ - ٣٥]

فجعل الله ﷻ صفة مقابلة الإساءة بالإحسان صفة عظيمة لا يستطيعها أي أحد ولكن الصابرين أصحاب الحظ العظيم هم الذين عندهم قدرة بتوفيق الله ﷻ على مقابلة الإساءة بالإحسان .

إذن لنتعلم جميعاً أن بني آدم كلهم ينفعلون ويحسون ويستجيبون ويتألمون إلا من كان به عته أو مرض ولكن المؤمن يتحكم في نتيجة هذه الانفعالات والأحاسيس ويتحكم في تصرفاته الناتجة عنها بما يوافق شرع الله ﷻ وبالكيفية التي ترضى الله سبحانه وتعالى ولا تُغضبه .

فقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الفتح : ٢٩]

إذن وضح الله ﷻ أن المؤمنين أحياناً أشداء وأحياناً رحماء ، إذاً لا يقول الإنسان إنني شديد في طبعي فلنعلم أن كل إنسان أعطاه الله ﷻ القدرة على السيطرة على نفسه والتحكم في عواطفه حسب الموقف الذي هو فيه فإن كان يتعامل مع الكفار فهو شديد ، وإن كان مع المؤمنين فهو رحيم بهم .

إذا غفرت لعباد الله غفر الله لك

انظر إلى قول الله تعالى : ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورى : ٤٣]

وقوله تعالى : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النور : ٢٢]

هذه الآية العظيمة نزلت في الصديق ﷺ لما حدثت حادثة الإفك التي اتهموا فيها ابنته عائشة – رضى الله عنها – زوجة رسول الله ﷺ اتهموها بالزنى والعياذ بالله وأنزل الله ﷻ براءتها في كتابه العزيز وكان ممن خاضوا في الإفك و تكلموا فيه مسطح بن أثاثة وهو ابن خالة الصديق ، فحلف أبو بكر ﷺ أن لا ينفق على مسطح بن أثاثة أبداً بعـــد ما قال في عائشة ما قال وكان يُعطيه من النفقة فنزلت الآية السابقة ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ...** ﴾ [النور : ٢٢]

أي : لا يحلف أصحاب الطول والصدقة والإحسان أن لا يعطوا ويصلوا أولى القربى والمساكين ... فهذا في غاية الترفق والعطف .

وليعفوا وليصفحوا : العفو : أن يخرج ما في نفسه من غيظ وكأن شيئاً لم يحدث والصفح : طي الصفحات والنسيان ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم : فإن الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح الله عنك .

فماذا فعل أبو بكر ﷺ ؟؟ سرعة الاستجابة و هذا هو حال أمثال هؤلاء الصادقين فقال : بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا ثم رجع إلى مسطح ما يصله من النفقة وقال : والله لا أنزعها منه أبداً . فتحقق منه ﷺ كظم الغيظ والعفو ثم الإحسان حيث قابل الإساءة بالإحسان .

أمثلة على عفوه ﷺ

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : « **لَقَدْ لَقيتُ منْ قَوْمك وَكَانَ أَشَدُ مَا لَقيتُ منْهُمْ يَوْمَ العَقَبَة إذْ عَرَضْتُ نَفْسي عَلَى ابْنِ عَبْد يَاليلَ بْن عَبْد كُلاَل فَلَمْ يُجبْني إلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهي فَلَمْ أَسْتَفقْ إلاَّ وَأَنَا في قَرْن الثَّعَالب فَرَفَعْتُ رَأْسي فَإذَا أَنَا بسَحَابَة قَدْ أَظَلَّتْني فَنَظَرْتُ فَإذَا فيهَا جبْريلَ عَلَيْه السَّلاَمُ فَنَادَاني فَقَالَ : إنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمعَ قَوْلَ قَوْمكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجبَال لتَأْمُرَهُ بمَا شئْتَ فيهمْ ،**

فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ)) فقال النبي ﷺ : ((**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**))[1].

فمن المعروف أن النبي ﷺ لاقى شدة عظيمة يوم أُحد ، حيث قُتل عدد كبير من المسلمين ، وضربوا وجه النبي ﷺ حيث صار الدم ينْزف من وجهه وكسروا رباعيته ، مع ذلك لما سألته عائشة – رضى الله عنها – هل مر عليك يوم أشد من هذا اليوم ؟ فقال لها : نعم هناك ما هو أشد وهو يوم ذهب النبي ﷺ إلى الطائف بعد أن لم يجد استجابة من أهل مكة فخرج إلى الطائف ليبلغهم رسالة الله ﷻ ويدعوهم إلى الإسلام فماذا فعلوا به ؟! وقفوا صفين متقابلين وجعلوا يرمونه بالحجارة وبالحصى حتى أدموا عقبه وخرج ﷺ ولم يدر بنفسه ولم يفق إلا وهو بقرن الثعالب فأظلته غمامة فنظر إليها فإذا فيها جبريل عليه السلام وقال له : هذا ملك الجبال يقرئك السلام فسلم عليه وقال : إن ربي أرسلني فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ، وهما جبلان عظيمان بمكة ، ولكن النبي ﷺ قال : لا ؛ لأن ذلك يكون سبباً في هلاكهم ولكن يرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده وفعلاً تحقق هذا .

---

(١) البخاري (٦ / ٣٢٣١) ، مسلم (١٧٩٥) .

مثال آخر

النبي ﷺ كان نائماً فأتى إليه غورث بن الحارث وأخذ سيفه وأراد قتل النبي ﷺ فاستيقظ النبي ﷺ والسيف في يد غورث مصلتاً إلى النبي ﷺ فانتهره فوضعه من يده وأخذ النبي ﷺ السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وعفا عنه .

مثال آخر

لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ ومع هذا عفا عنه مع قدرته عليه والحديث رواه مسلم[1].

مثال آخر

المرأة التي سمت الذراع يوم خيبر وبعثته للنبي ﷺ فأخبر الذراع النبي ﷺ فدعاها النبي ﷺ فاعترفت بأنها سمت الذراع فقال لها ﷺ : « **وَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟** » قالت : أردت إن كنت نبياً لم يضرك ، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك ، فأطلقها النبي ﷺ ولكن قتلها قصاصاً بعد ذلك بسبب موت بشر بن البراء بسبب هذا السم . والحديث في الصحيحين [2].

---

(١) مسلم (٢١٨٩) .

(٢) رواه البخاري (٣١٦٩ - ٥٧٧٧) ، مسلم (٢١٩٠) .

مثال آخر

عن أنس ﷺ قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه الصحابة فضحك ثم أمر له بعطاء[1].

ولننظر كذلك إلى عفو يعقوب – عليه السلام – عن أولاده بعدما فعلوا ما فعلوا ثم طلبوا منه أن يستغفر لهم فوافق على ذلك كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [يوسف : ٩٧ – ٩٨]

وكذلك يوسف – عليه السلام – عفا عن إخوته بعد أن حرموه من أبيه مع قدرته على الانتقام منهم وهذا كما أخبرنا الله ﷻ : ﴿ **قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف : ٩٢]

عدم الغضب

الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم فيفور دمه ، فإن كان قوياً ملك نفسه ، وإن كان ضعيفاً ملك عليه الغضب ، ويتصرف تصرفات يندم

---

(١) البخاري (٦ / ٣١٤٩) ، مسلم (١٠٢٧) .

عليها بعد ذلك ؛ لأنه قد ينتج عنه مفاسد عظيمة ربما يسب الإنسان أهله أو نفسه .. ربما يطلق زوجته .. ربما ينطق بكلمة كفر وهكذا .....

ولهذا نجد قول رسول الله ﷺ ((**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**))[1].

أي ليس الشديد الذي إذا صارع الناس صرعهم ولكن الشديد الذي يصرع غضبه ، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له أوصني قال : ((**لاَ تَغْضَبْ**)) فردد مراراً قال : ((**لاَ تَغْضَبْ**))[2].

ماذا تفعل إذا غضبت ؟

١- استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، والاستعاذة معناها الاحتماء بالله واللجوء إليه لينجي العبد من الشيطان الرجيم . والدليل : قال سليمان بن صرد ﷺ : استبّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ : ((**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**))[3].

٢- الوضوء : فإن الوضوء يطفئ الغضب الذي هو من الشيطان .

٣- تغير الوضع : أي إذا كان قائما فليجلس وإن كان قاعدا فليضجع

---

(١) البخاري (٦١١٤/١٠) ، مسلم (٢٦٠٩) .
(٢) البخاري (٦١١٦/١٠) .
(٣) البخاري (٦١١٥/١٠) ، ومسلم (٢٦١٠) .

كما قال ﷺ : ((**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ**))[١].

الحلم ـ الأناة ـ الرفق

الحلم والأناة والرفق صفات عظيمة يحبها الله ﷻ كما قال ﷺ لأشج عبد القيس : ((**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ ، الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**))[٢].

والحلم : أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب مع قدرته على العقوبة والانتقام .

الأناة : عدم السرعة في التصرف في الأمور أو الكلام ، فلا يحكم على الشيء إلا بعد التأني ولا يُفتى في مسألة شرعية كذلك إلا بعد التأني والنظر وهكذا ..

أما الرفق : فهو عدم العنف وقال ﷺ : ((**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**))[٣] وقال ﷺ : ((**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ**))[٤] ، وقال ﷺ : ((**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ**))[٥].

---

(١) **حسن** : رواه أحمد (٤٧٨٢) .

(٢) **مسلم** (١٧ ، ١٨) .

(٣) **مسلم** (٢٥٩٣) .

(٤) **مسلم** (٢٥٩٤) .

(٥) **مسلم** (٢٥٩٢) .

والرفق في كل شيء له عواقب حميدة وخاصة في الدعوة إلى الله ﷻ .

ننظر إلى أمر الله ﷻ إلى موسى وهارون - عليهما السلام - حيث أمرهما باللين والرفق مع فرعون الطاغية **فقال تعالى** : ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ [طه ٤٣- ٤٤]

فذكـــر الله ﷻ أن اللين معه قد يؤدي إلى تذكرة وخشية **وقال تعالى** : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

مثال على رفق النبي في دعوته و تعليمه للناس

عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت : يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واثكل أمّياه ما شأنكم تنظرون إليّ فجعلوا يضربون بأيدهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصَمِّتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي ، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال : « **إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ** »[١] أو كما قال رسول الله ﷺ ، فيتضح من الحديث السابق حسن تعليم النبي ﷺ ورفقه في

---

(١) مسلم (٥٣٧) .

دعوته وهذا كما أمر الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٥]

مثال آخر

عن أبي هريرة ﷺ قال : بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه فقال النبي ﷺ : ((**دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**))[1] .

فسبحان الله ننظر إلى رفق النبي ﷺ بهذا الأعرابي الذي أراد أن يبول فبال في جانب من المسجد ؛ لجهله بأحكام المساجد فَهَمَّ به الناس وزجروه على فعله ولكن النبي ﷺ ينهاهم عن هذا الزجر ويأمرهم أن يتركوه حتى يقضي بوله ثم بعد هذا أمرهم بتطهير المحل بصب دلوٍ من الماء عليه . ثم دعا بالأعرابي وقال له : إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر وإنما هي للصلاة وقراءة القرآن والتكبير . ثم ماذا قال الرجل ؟ قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحد . فلننظر كيف انشرح صدره للنبي ﷺ ولكلامه ولدعوته بالرفق واللين .

(١) البخاري (١/٢٢٠) .

المجادلة

المجادلة قد تكون بين حق وباطل والإنسان يجب أن يكون هدفه من المجادلة الوصول إلى الحق ، لا تكون المجادلة لنصر قوله أو رأيه أو حزبه ؛ وتكون المجادلة بالدليل الشرعي ولهذا **يقول الله** ﷻ : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٥]

ولكن قد تكون المجادلة في شيء لا يترتب عليه حكم شرعي ولا استفادة شرعية والأفضل في مثل هذا رد العلم إلى **الله** ﷻ وعدم المجادلة بدون علم ولا دليل .

ولهذا لما اختلف أهل الكتاب في عدة أهل الكهف كما وضح الله ﷻ أمر **الله** ﷻ رسوله ﷺ ألا يخوض في هذا إلا خوضاً سهلاً ليناً .

فقال تعالى : ﴿ ... **فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً** ﴾ [الكهف : ٢٢]

والإنسان يجب أن يحاول أن يترك المجادلة حتى وإن كان محقاً كما جاء في هذا الحديث : – عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **أَنَا زَعِيمٌ**[١] **بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقاً ، وَبِبَيْتٍ فِي**

(١) زعيم : ضامن

وَسَطِ الجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّة لِمَنْ حَسنَ خُلقُه))[1].

وقد ذم الله ﷻ من يجادل بغير دليل شرعي بل تكون مجادلته بمجرد الرأي والهوى كما في **قوله تعالى** : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّه بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ** ﴾ [الحج : ٨]

ودين **الله** ﷻ وشرعه كاملاً واضحاً لا ينقصه شيء ولا يناقض بعضه بعضاً فلا يحتاج إلى المجادلة والمخاصمة والمعارضة ، ومع ذلك فالإنسان كثير الجدال كما ذكر **الله** ﷻ **في قوله** : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ [الكهف : ٥٤]

وعن علي بن أبي طالب : أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال : ((**أَلاَ تُصَلِّيان** ؟)) فقلت : يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئاً ثم سمعته وهو مولٍ يضرب فخذه ويقول : ﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ [الكهف : ٥٤][2].

---

(١) **حسن** : أخرجه أبو داود (٤/٤٨٠٠) وحسنه الألباني في ، صحيح الجامع (١٤٦٤) .

(٢) **البخاري** (١١٢٧) ، **مسلم** (٣/٧٧٥) .

الوقار و السكينة

صفتان عظيمتان يمن الله بهما على عباده الصالحين والمقصود بهما : الرزانة وعدم الطيش وقلة الحركة والتأني في الحركة وفي الكلام والتصرفات كلها وقال الله ﷻ في صفات عباد الرحمن : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً** ﴾ [الفرقان : ٦٣]

فوصفهم الله ﷻ بالقصد في السير والوقار والسكينة وهذا كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [لقمان : ١٩]

والقصد في المشي أي التوسط فيه والمشي باعتدال بين السرعة والبطىء .

إن من الوقار والسكينة قلة الضحك والاكتفاء بالابتسامة تأسياً بالرسول ﷺ فعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى تُرى منه لهواته إنما كان يبتسم(١) .

أي أنه ﷺ لا يضحك ضحكاً شديداً بقهقهة يفتح فمه حتى تبدو لهاته(٢) ولكنه ﷺ كان يبتسم أو يضحك حتى تبدو نواجذه(٣) .

---

(١) **البخاري** (٤٨٢٨/٨) ، **مسلم** (٨٩٩) .

(٢) اللهاة : قطعة اللحم المدلاة من أعلي سقف الفم .

(٣) نواجذه : أنيابه .

علماً بأن كثرة الضحك تميت القلب كما جاء في الحديث :- قال رسول الله ﷺ : ((**وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**))[1].

وكثرة الضحك تدل على الطمأنينة وعدم الخوف من الآخرة ومن لقاء الله ﷻ ولهذا قال ﷺ لأصحابه : ((**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**))[2].

ولكن من صفات المؤمنين الخوف دائما والقلق وذلك مع ما يقدمون من طاعات وأعمال صالحة ولكنهم دائما خائفون من لقاء الله ﷻ خائفون من ذنوبهم خائفون أن لا تقبل منهم أعمالهم وهذا جاء في **قوله تعالى** : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٦٠]

ومن خاف أقبل على الطاعة وتأخر عن المعصية **وقال الله** ﷻ : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [الرحمن : ٤٦]

وقال ﷺ : ((**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ**[3] **وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ**))[4].

---

(١) الترمذي (٢٣٠٥) أحمد (٢/٣١٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠) .

(٢) **البخاري** (٤٦٢١) ، **مسلم** (٢٣٥٩) .

(٣) أدلج : أسرع الخُطى إلي طاعة الله ﷻ

(٤) **صحيح** : الترمذي (٢٤٥٠) صفة القيامة والحاكم (٣٠٨/٤) وقال صحيح الإسناد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٢) .

إذا نظرنا إلى حالة السلف كيف كان حالهم ؟ كانوا يتذكرون الموت فيبكون وكأن بين أيديهم جنازة .

كان الأعمش يقول : كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من يُعزى لأن الحزن قد عم الناس كلهم ..

الكرم و عدم البخل

لقد حثنا الله ﷻ على الإنفاق في أوجه الخير **فقال تعالى** : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٢]

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [سبأ : ٣٩]

أي : يعطيكم خلفاً عنه .

وحذرنا الله ﷻ من البخل وعدم الإنفاق **فقال تعالى** : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۞ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى** ﴾ [الليل : ٨ - ١١]

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من البخل وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَـادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ**

أَحَدَهُمَا اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً ››[١]
وقال ﷺ : ‹‹ **أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِه أَحَبُ إِلَيْه مِنْ مَاله ؟** ›› قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال : ‹‹ **فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِه مَا أَخَّرَ** ››[٢].

سبحان الله حكمة عظيمة من الرسول ﷺ وتوضيح عظيم ممن أوتي جوامع الكلم فمال العبد هو المال الذي ينفقه في حياته في أوجه الخير لماذا ؟ لأنه هو الذي سيجده يوم القيامة ، أما المال الذي لم ينفقه في أوجه الخير فإنه لم يستفد منه ولكن تركه وأخذه وارثه بعد موته – فتذكروا يا أولي الألباب –

ومن أمثلة الإنفاق في أوجه الخير ومن الكرم والجود الإنفاق على غير المسلمين لتأليف قلوبهم وتحبيبهم في الإسلام ولقد ذكرهم الله ﷻ **في قوله** :
﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٦٠]

وعن أنس ﷺ قال : ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يُعطى عطاء من لا يخشى الفقر وإن كان الرجل لَيُسْلِمُ ما

---

(١) **البخاري** (٣/١٤٤٢) ، **مسلم** (١٠١٠) .
(٢) **البخاري** (١١/٦٤٤٢) .

يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[١].

ومن الكرم والجود إكرام الضيف :- وإكرام الضيف من صفات الرسل والأنبياء فقد مدح الله ﷻ إبراهيم - عليه السلام - حيث أكرم ضيوفه وذبح لهم عجلاً سميناً وشواه وقدمه إليهم بنفسه **فقال تعالى** : ﴿ **فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ** ﴾ [الذاريات : ٢٦]

وعن أبي شريح ﷺ قال : أبصرت عيناي رسول الله ﷺ وسمعته أذناي حين تكلم به قال : ((**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الأَخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**)) قالوا وما جائزته ؟ قال : ((**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ ، وَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ**))[٢].

ومعنى جائزته : أي الاهتمام به وجاء هذا واضحاً في قول أبي شريح عن النبي ﷺ قال : ((**الضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَامٍ وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَلاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ**)) قالوا : يا رسول الله كيف يؤثمه ؟ قال : ((**يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلاَ شَيْءَ يَقْرِيهِ بِهِ**))[٣].

---

(١) مسلم (٢٣١٢) .
(٢) البخاري (٦١٣٥) ومسلم (١٧٢٦) اللفظة .
(٣) مسلم (١٧٢٦/١٥) .

أي : أنه يجب أن يكون الاهتمام بالضيف في اليوم الأول ثم في اليوم الثاني يطعمه ما تيسر ولا يزد عن عادته وكذلك في اليوم الثالث ، ثم ما كان بعد ثلاثة أيام فهو صدقة ، إن شاء فعل وإن شاء ترك .

ولننظر إلى كرم وإيثار أحد الأنصار من صحابة رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني مجهود ، أي : مُجهد من الفقر والجوع ، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت : مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ، فقال النبي ﷺ : من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رَحله فقال : لامرأته أكرمي ضيف رسول الله ﷺ . وفي رواية قال لامرأته هل عندك من شيء ؟ قالت لا إلا قوت صبياني ، قال : علّليهم بشيء ، وإذا أرادوا العشاء فنوِّميهم ، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج ، وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين – من غير عشاء – فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال : ((**لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**)) أي : استحسن الله صنيعكما[1].

فلننظر إلى صحابة الرسول ﷺ فليس الجود والكرم فقط ولكنه الإيثار وقد مدح الله ﷻ الأنصار **فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ**

---

(١) **البخاري** (٣٧٩٨/٧) ، (٤٨٨٩/٨) ، **مسلم** (٢٠٥٤) .

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩]

ومن المعلوم أن الإيثار يكون في الأمور الدنيوية فقط ، ولكن بالنسبة للأمور الدينية والطاعات فيجب أن لا يؤثر الإنسان فيها غيره ، ولكن يجب أن يكون التنافس والتسارع في الخير .

الحياء

من أهم الأخلاق التي تؤثر في الفرد وفي الأسرة والمجتمع لأنه إذا فقد الحياء أو قل فسد المجتمع وزادت مشاكله والعكس صحيح والحياء انكسار في القلب وخجل لفعل شيء حرمه **الله** ﷻ أو عدم فعل شيء أوجبه **الله** ﷻ أو فعل شيء لا يستحسنه الناس .

والحياء من الإيمان ومتلازم معه فإذا زاد الحياء زاد الإيمان والعكس صحيح ، وقال ﷺ في الحياء : « **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** »[1] فذكر الحياء في الحديث دون بقية الشعب يدل على أهمية الحياء وأن الحياء غالبا ما يدفع إلى باقي الشعب .

---

(١) عن أبي هريرة : **البخاري** (٩/١) بلفظ الإيمان بضع وستون شعبة ، **ومسلم** (٣٥/١) بلفظ الإيمان بضع وسبعون .

فالإنسان الذي يستحي لا يكذب ولا يزني ولا يسرق ولا ينظر إلى حرام ... وهكذا ، والحياء لا يأتي إلا بخير :

فعن عمران بن حصين – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : ((**الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ ...**))[1].

والحياء صفة اتصف بها رسول الله ﷺ فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء[2] في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه[3].

وإذا كان الحياء كله خير فإن العكس صحيح فإن عدم الحياء ليس فيه خير ففيه تجرؤ على معصية الله ﷻ وعلى حرمات الله فيه اعتداء على حقوق الناس وفيه فساد المجتمع كله . ولهذا يقول الرسول ﷺ : ((**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**))[4].

ففي الحديث تهديد ووعيد فإذا لم يكن عندك حياء فافعل ما شئت فسوف تجازى عليه ، وقد يكون المقصود من الحديث : انظر إلى الفعل الذي ستفعله هل تستحي منه أمام الله أو أمام الناس أو أمام نفسك ؟ فإذا لم تستح منه فافعل ما شئت ، والحياء أعظم درجاته الحياء من الله ، ثم الحياء من الناس ثم الحيـــاء من النفس ؛ فالإنسان الذي يستحي من الله ﷻ دائما على

---

(١) **البخاري** (٦١١٧/١٠) ، **مسلم** (٣٧) .

(٢) العذراء : هي المرأة التي لم تتزوج بعد وهي أشد النساء حياءً

(٣) **البخاري** (٣٥٦٢/٦) ، (٦١٠٢/١٠) ، **مسلم** (٢٣٢٠) .

(٤) **البخاري** (٣٤٨٣/٧ ، ٣٤٨٤) عن أبي مسعود البدري .

يقين من رؤية الله ﷻ فهو يستحي من أن يترك واجباً أو أن يفعل محرماً ؛ والذي يستحي من الناس يستح أن يفعل شيئاً يخالف المروءة .

أمثله على الحياء

حياء الفتاة التي قابلت موسى عليه السلام ، والتي جاءت قصتها في سورة القصص فقد وصفها الله ﷻ بالحياء في مشيتها وفي كلامها ، فكلها حياء ، فقال الله ﷻ : ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[القصص : ٢٥]

ننظر إلى الحياء ثم ننظر إلى حال النساء اليوم فأكثر النساء والعياذ بالله قد فقدن الحياء فالمرأة تخرج متبرجة متعطرة عارية لا تستحي ، بل تبذل غاية جهدها لتجذب الأنظار إليها ، وغير الجميلة تحاول أن تجمل نفسها لئلا تبدو قبيحة ، فأين الحياء ؟؟!! نعم لقد أصبح مجتمع النساء اليوم معرض أزياء .

ثم ننظر إلى الرجال وكيف فقد أكثرهم الحياء من الله ﷻ حيث يتتبعون عورات النساء ويُتبعون النظرة بالنظرات المحرمة إلى النساء ولا يغضوا أبصارهم امتثالاً لأمر الله ﷻ : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور : ٣٠] ألم يعلموا أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ألم يعلموا أن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فكيف عندما يرد هذا السهم على

قلب إيمانه ضعيف أضعفته المعاصي وأنهكته الشهوات ؟! فلا يجد مقاومة لتلك الفتنه ولا مدافعة فتفتك به فتكاً وتمزقه كما يمزق السهم رميته فينتقل من معصية إلى معصية بل ومن كبيرة لكبيرة والعياذ بالله .

ننظر إلى حياء عائشة – رضى الله عنها – حيث قالت : كنت أدخل بيتي بعد وفاة النبي ﷺ وبعد وفاة أبي بكر فكنت أقول زوجي وأبي فأخلع أو أضع ثيابي – فلما مات عمر بن الخطاب ودفن بجوار رسول الله ﷺ وأبي استحييت أن أخلع ثيابي ، فكنت أشد ثيابي على نفسي حياء من عمر .. ننظر إلى الحياء وعمر ميتاً وليس حَيّاً !!

ننظر الآن إلى الشر والفساد الذي انتشر في المجتمع الإسلامي بسبب السفور وعدم الحياء وبسبب اختلاط الرجال بالنساء .. إنها دعوة إلى الاختلاط – دعوة لإلغاء الفوارق بين الرجل وبين المرأة .. تجاهلوا أن هذا إنما يدعو إلى هدم الأخلاق الفاضلة وإلى الدعوة إلى الرذيلة .. إن هؤلاء الذين يدعون إلى السفور والاختلاط وإزالة الفوارق هم أعداء الإسلام حقاً . الذين يحاولون تهوين هذه الفتن في نفوسنا فيجلبونها إلينا بعد أن أفسدتهم ليفسدونا بها كما فسدوا وصدق الله ﷻ **في قوله** : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ... ﴾ [النساء : ٨٩]

فلنحذر جميعاً أن نستهين بهذه الفتن أو أن تلين نفوسنا لها ولكن علينا جميعاً إنكارها والاشمئزاز منها .

الحياء لا يمنع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ [آل عمران : ١١٠]

وقال ﷺ : ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[١].

وكذلك فعلك الذنب ليس سبباً في ترك الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر فهذا ذنب وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذنب أخر وكل ابن آدم خطاء فكل داعية يُذنب ويخطئ وكما قال القائل :

وَمَنْ لَمْ يَعِظْ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ مُذْنِبٌ فَمَنْ يَعِظُ العَاصِينَ بَعْدَ مُحَمَّدُ

ومن الحياء عدم الجهر بالمعاصي

فعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ يَافُلاَنُ لَقَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ))[٢].

---

(١) مسلم (١/٤٩) عن أبي سعيد .

(٢) البخاري (١٠/٦٠٦٩) ، مسلم (٢٩٩٠) .

ومعنى الحديث أن أمة محمد ﷺ التي استجابت لله والرسول كلها يعافيها الله ﷻ إلا الذين يجهرون بمعصية **الله** ﷻ فإما أن يفعلوا المعصية أمام الناس أو يستره **الله** ﷻ ولا يراه أحد ، ثم هو يكشف هذا الستر ويتحدث أمام الناس بما فعله فيكون هذا دلالة على أنه استصغر الذنب ، وظلم نفسه فجعلها تستحق العذاب من الله تعالى ، ثم جعل المعصية تهون في نفوس الآخرين فيقلدونه ويفعلون مثله ، فيكون عذابه شديداً لأنه داعية إلى الشر وإلى المعصية وبالتالي داعية إلى جهنم والعياذ بالله كما جاء في **قوله تعالى** : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ** ﴾ [القصص : ٤١] وينطبق عليه **قول الله** ﷻ : ﴿ **مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً** ﴾ [النساء : ٨٥]

وقال ﷺ : ((**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة**))[1].

والحياء لا يمنع من التفقه في الدين

الحياء لا يمنع من السؤال في الدين والتفقه فيه ، فنساء الأنصار اتصفن بالحياء ولكن لم يمنعهن من التفقه في الدين كما أخبرت عائشة – رضى الله

(١) مسلم (١٠١٧) .

عنها – فقالت : ((نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين))[١].

أم سليم – رضى الله عنها – جاءت إلى النبي ﷺ تسأله فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة من غُسل إذا هي احتلمت ؟ قال : ((**نَعَمْ إِذَا هِيَ رَأَتِ المَاءَ**))[٢].

لذلك يجب على الإنسان أن يكون حيياً في فعل المعاصي والمنكرات وترك الواجبات ، وأن يكون حيياً في الاعتداء على الناس وظلمهم ، أما في الحق فلا يستحي من الحق والله المستعان .

الأمـــانة

الأمانة صفة عظيمة يتصف بها أهل الصلاح والتقوى ويتصف بها المؤمنون قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُـــمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـــافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١ – ٨]

---

(١) **مسلم** (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله ، وهو جزء من حديث طويل .

(٢) **البخاري** (١٣٠) في العلم باب الحياء في العلم ، **مسلم** (٣١٣) في الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها .

ويتصف الرسل والأنبياء بالأمانة فقد كان يُعرف النبي ﷺ بالصادق الأمين ، وموسى عليه السلام : قال الله ﷻ : ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ [القصص : ٢٨]

ويوسف عليه السلام حيث مدحه الملك ومكنه لأمانته كما جاء في **قوله تعالى** : ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ** ﴾ [يوسف : ١٢]

وأعظم الأمانة وأهمها على الإطلاق هي إقامة شرع الله وعبادته فهي الأمانة العظمى التي ائتمن الله عليها العباد وهي المقصودة في **قولـــه تعالى** : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

فالسموات والأرض والجبال مع صلابتها ومع قوتها فإنها أشفقت من حمل هذه الأمانة خشية إضاعتها ،وسبحان الله حملها الإنسان مع ضعفه وظلمه وجهله .

وهنـــاك الأمانات التي تكون بينك وبين عبـــاد الله وهي أمانات مادية ((أموال أو ودائع أو غيرها ...)) وقد أمرنا **الله** ﷻ برد الأمانات إلى أهلها في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾ [النساء : ٥٨]

وأداء الأمانة من علامات الإيمان وعدم أدائها دلالة على النفاق والعياذ بالله كما جاء في قوله ﷺ : « **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ** »(١).

ومن الأمانات التي تكون بينك وبين عباد الله الأسرار الخاصة بين الرجل وصاحبه وما يكون بين الرجل وزوجته فقال ﷺ : « **إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا** »(٢)

ومن علامات الساعة الخيانة وعدم الأمانة كما جاء في الحديث عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر : حدثنا « أن الأمانة نزلت في جَذْرِ (أصل) قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : « **يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ** (الأثر اليسير) **ثُمَّ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ** (النفط يكون في اليد من أثر العمل) **كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ ، فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً** (أي منتفخاً) **وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِيناً حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ :**

(١) البخاري (٣٣/١) ، مسلم (٥٩) .
(٢) مسلم (١٤٣٧) .

مَا أَجْلَدَهُ ! مَا أَظْرَفَهُ ! مَا أَعْقَلَهُ ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُهُ ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِياً أَوْ يَهُودِياً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ - الولي عليه - **وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَناً وَفُلاَناً**))[1].

والمعنى المختصر للحديث أن حذيفة بن اليمان يقول : أن الرسول ﷺ حدثه عن الأمانة وأنها ستنزع من قلوب الرجال فقال له : إن الأمانة نزلت في أصل قلوب الرجال فهذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وإن الله ﷻ أنزل عليهم من القرآن والسنة ما يثبت هذا الأصل ، فمن أخذ بالقرآن والسنة زاد إيماناً وثباتاً وأداءً للأمانة ، فهذا هو الحديث الأول ؛ ثم الحديث الثاني : ذكر فيه أن الأمانة ستنزع من قلوب الرجال وهذا من علامات الساعة ((تضييع الأمانة)) فقد يكون الرجل يعتاد المساجد ويسارع في الطاعات ولكنه إذا نظرنا إليه من ناحية الأمانة نجده قد يكون خائنا في وظيفته لا يؤديها كما ينبغي وقد يكون خائنا لصديقه إذا ائتمنه على شيء فإنه يفضحه وينشر سره وهكذا ...

الوفاء بالعهد

من صفات المؤمنين الوفاء بالعهد ومن صفات المنافقين عدم الإيفاء بالعهد كما جاء في الحديث : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله

---

(١) البخاري (١١/٦٤٩٧) ، مسلم (١٤٣) .

عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**))(١)

وأمر الله ﷻ بالإيفاء بالعهد **فقال تعالى** : ﴿ ... **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء : ١٧]

فالإنسان سيُسأل أمام الله ﷻ عن العهد وفّى به أم لا ؟ .

ومن العهود : الشروط التي تقع بين الناس في الأمور الدنيوية المختلفة كالبيع والشراء وما يتم الاتفاق عليه بين المسلمين والكفار فكل هذا يجب الإيفاء به .

ومن العهود : ما يتم الاتفاق عليه بين الموظفين والحكومة حيث يتم الاتفاق في العقد الوظيفي علي شروط معينة ووظائف محددة ومواعيد محددة وواجبات يجب الإيفاء بها ولكن للأسف الشديد نجد كثيراً من الناس الموظفين أو الطلبة أو غيرهم لا يوفون ويخلون بالشروط ويتخذون مخالفات الرؤساء والمسئولين دليلاً على مخالفتهم ، فلنعلم جميعاً أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، فإذا رأيت أحداً يُلقى بنفسه إلى التهلكة والعذاب ، فلا تلقى بنفسك خلفه ، ولكن احذر عذاب الله وعليك بالالتزام بشرع الله ﷻ .

وأعظم العهود على الإطـــلاق العهد الذي بين الله ﷻ وبين عبـــاده أن

---

(١) البخاري (٣٤/١) ، مسلم (٥٨) .

يعبدوه وأن لا يشركوا به شيئاً حيث أخذه الله ﷻ من ذرية آدم وهو المقصود في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ٧]

صحبة أهل الخير والصلاح وعدم التشاحن والخصام

نعم إن صحبة أهل الخير والصلاح تورث في القلب الصلاح ، فإن مخالطة الصالحين والنظر إلى أفعالهم أنفع للقلب وتدفع الإنسان للعمل الصالح والعكس صحيح ، ومن أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله فإذا كان الإنسان محبته تابعة لمحبة الله ﷻ وبُغضه تابعاً لبغض الله ﷻ فهذا ينال ولاية الله ﷻ ، وقال ﷺ : ((**مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ في الله فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإيمَانَ**))[1].

وقال ﷺ : ((**ثَلاَثٌ مَنْ كُنّ فيه وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَان : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه ممَّا سوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحبَّ المَرْءَ لاَ يُحبُّهُ إلاَّ لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ**))[2].

وعن أبي سعيد الخدرى ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**لاَ تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمناً**

---

(١) **حسن** : سنن أبو داود (٤٦٨١) ، الترمذى (٤/٢٥٢١) عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٥) .

(٢) **البخاري** (١/١٦) الإيمان ، م (٤٣) .

وَلاَ يَأْكُلُ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ »[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** »[٢].

أي أن الإنسان يكون في الدين والخلق على قدر ما يصاحب ، فلينظر من يُصاحب فإن صاحب أهل الخير صار منهم ، وإن صاحب سواهم صار منهم ولنعلم أن مصاحبة وموالاة أهل الباطل لا يكون نهايتها إلا الندم ، فنهايتها الموقف الشنيع الذي يكون بين يدي الله ﷻ حيث يقول العبد : ﴿ **يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً** ﴾ [الفرقان : ٢٨]

لماذا ؟ لأنها كانت محبة من أجل الدنيا ومن أجل المال ، أو من أجل الجمال أو غير ذلك فكل هذا الحب والموالاة له نهاية ونهايته غير محمودة وشنيعة العاقبة ، فمن أحبك على شيء أبغضك لفقده . فهذا بخلاف من اتخذ الصديق المحب لله المطيع لله فهذا يدوم حبه يوم القيامة **كما قال تعالى** : ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف : ٤٣]

وقد قال ﷺ في دوام محبة المتقين : « **أَنَّ مِنَ النَّاسِ أُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ والشُهَدَاءُ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ** ﷻ » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي ذَاتِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ**

---

(١) **حسن** : أخرجه أبو داود (٤/٤٨٣٢) والترمذى (٤/٢٣٩٥) عن أبي سعيد وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٤١) .

(٢) **حسن** : أخرجه أبو داود (٤/٤٨٣٣) ، والترمذى (٤/ ٢٣٧٨) وقال حديث حسن صحيح وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٢٧) .

بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوالله إِنَّ وَجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهمْ لَعَلَى نُورٍ لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ » ثم قرأ ﷺ : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمْ الْبُشْرَى في الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفي الآخرَة لا تَبْديلَ لكَلمَات اللَّه ذَلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ** ﴾ [التوبة : ٦٢ - ٦٤] »[١].

وعن أبي إدريس الخولاني ﷺ قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فيه فتى برّاق الثنايا وإذا الناس حوله فإذا اختلفوا في شيء اسندوه إليه وصدروا عن رأيه فيه . قال : فوقع حبه في قلبي فسألت عنه فقيل لي : هذا معاذ بن جبل هذا صاحب رسول الله ﷺ قال : فلما كان من الغد بكرت فوجدته قد سبقني بالتبكير ووجدته يصلي فانتظرته حتى قضى صلاته أتيته من قِبلَ وجهه فجلست بين يديه وقلت له : والله إني لأحبك في الله فنظر إليّ وقال : آلله ؟ قلت : الله – قال : آلله ؟ قلت : الله ، قال : آلله ؟ قلت : الله ، فأخذ بحبوتي فجذبني إليه وقال لي : أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتي للمُتَحَّابينَ فِيّ وَوَجَبَتْ مَحَبَّتي للمتَجَالسينَ فِيّ ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتي للمُتَزَاورينَ فِيّ ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتي للمُتَبَاذلينَ فِيّ** »[٢].

---

(١) **حسن** : النسائي (سننه الكبرى ١١٢٣٦) ، ابن حبان (صحيحه ٥٧٣) وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبان

(٢) الموطأ جـ٢ ص٢٦٥ أحمد (٥/٢٢٩) ، الحاكم (٤/١٦٩ ، ١٧٠) ، وصحح إسناده الشيخ شعيب في تخريجه الصحيح لابن حبان

فهذه نهاية الحب في الله والمودة في الله نهايتها حب الله ﷻ ، اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك ، ولكن كيف بما عداها ؟ تدوم المودة في الحياة الدنيا إذا دام السبب الذي انعقدت من أجله ، ثم يوم القيامة كيف يكون الحال ؟!

قال تعال : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩]

وكفانا أن نعلم أنه عندما يفرغ من حساب الخلق يقول رئيس دُعاة الضلال وهو الشيطان لأتباعه كما أخبرنا الله ﷻ **في قوله : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** [إبراهيم : ١٤]

إذن على العبد أن ينظر لنفسه وقت الإمكان وقبل أن يفُوت الأوان وأن يتدارك الممكن قبل أن يصبح غير ممكن ويوالي من ولايته فيها السعادة ويُعادي من تنفعه عداوته وتضره صداقته .

ولنحذر من الخصام والمشاحنة والتدابر ولنصلح بين المتخاصمين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٤٩]

وقال ﷺ : ((**لاَ يَحِلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمْ الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**))[١].

والتدابر والخصام يحول بين العبد وبين مغفرة الله ﷻ ، قال ﷺ : ((**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنِينِ ، وَيَوْمَ الخَمِيسَ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ**[٢] **فَيُقَالُ : انْظُرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا انْظُرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**))[٣].

أي : لا يغفر لهما بسبب هذه الشحناء التي بينهما حتى يتم الصلح بينهم فتتم المغفرة .

وفي نهاية هذا البحث المتواضع الذي تم بمشيئة الله تعالى وبعونه وتوفيقه وبحوله وقوته فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اعلم أيها القارئ أن ما كان فيه من صواب وخير وتوفيق فمن الله وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان .

ثم أسال الله تعالى : أسأل الله الغفور الرحيم أن يغفر لي خطيئتي فيه وأسأل الله تعالى العلي القدير رب العرش العظيم أن يجعل عملي هذا خالصاً

---

(١) البخاري (٦٠٧٧) ، مسلم (٢٥٦٠) عن أبي أيوب .

(٢) شحناء : خلاف وبغضاء .

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٥) ، أحمد (٢/ ٢٦٨) عن أبي هريرة .

لوجهه الكريم بعيداً عن النفاق والرياء ، وأن يجعله حجة لنا ولا يجعله حجة علينا ، وأسأل الله العلي الحكيم أن يجعله لنا علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ، وأسأل الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أن يهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو وأن يجعلنا من الذين يعلمون فيعملون .

ثم استعيذ بالله : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن نفس لا تشبع ، ثم أتذلل إلى ربي السميع العليم وأقول : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ربنا اصرف عنا عذاب جنهم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاما . رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ، ربنا وتقبل دعاء ، ربنا وتقبل دعاء .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقيرة إلى الله ﷻ راجية عفوه ورحمته

أم أنس

سمية محمد الأنصاري

مطوبس في ٦صفر/١٤٢٣هـ

فهرست الموضوعات